مجدي محمد الشهاوي

قصص الطير والحيوان
من الحديث والقرآن

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر





□ تقديم □

إن الحمد لله تعالى وحده نستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، فإنه مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومَن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً النبى عبده ورسوله **وبعد** :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، وخير الهَدْى هَدْى محمد النبى - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

﴿ يٰأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾[1].

﴿ يٰأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾[2].

﴿ يٰأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومَن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[3].

ثم أما **بعد** :

فقد ذكر الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه العديد من قصص الطير والحيوان ، كما حدثنا المعصوم - ﷺ - فى حديثه عن مثل هذه القصص ، وقد استعنت بالله تبارك وتعالى فى جمع هذه القصص فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن وسميته : « **قصص الطير والحيوان من الحديث والقرآن** »... والحمد لله تبارك وتعالى الذى أعاننى على إتمامه على هذه الصورة ... وإن كنت

(١) آل عمران : ١٠٢ . (٢) النساء : ١ . (٣) الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

علي عجالة من أمرى فأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنى فيما بعد إلى أن أتناول مثل هذه القصص فى عمل آخر جديد .

وليست هذه القصص على سبيل التسلية والسمر ، بل فيها جميعها الدرس والفكرة والعبرة والموعظة الحسنة ، وهذا هو جهدى وما استطعت ، فإن كان خيراً فمن الله تبارك وتعالى وحده وإن كان غير ذلك فمن نفسى والشيطان .

﴿ إن أريدُ إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود : ٨٨].

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

مجدى محمد الشهاوى
شرباص . فارسكور . دمياط
بريد (٣٤٧٢١)
هاتف :
٤٤٤٠٠٨ - ٤٤٤٠٠٧ (٠٥٧)
٤٤٠٨٩٧ - ٤٤٤٠١٦
(محلى ٦٧٨٩)

من قصص الطير فى القرآن والحديث

- غراب ابنى آدم (شاهد على الجريمة الأولى) .
- الحُمَّرَة التى فُجِعَت ببيضتها أو بفرخيها فشكت إلى النبى - ﷺ - حالها .
- الحدأة و وشاح البراءة .

غراب ابنَى آدم (شاهد على الجريمة الأولى)

﴿ واتْلُ عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قَرَّبَا قرباناً فَتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتَقَبَّل من الآخر قال لأَقْتُلَنَّك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين * إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فَطَوَّعَت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غُرَابَاً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين ﴾[٤].

ذكر أئمة السلف وأهل العلم بالتفسير أن آدم كان يُزَوِّج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى ، وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل ، وكان أكبر من هابيل ، وكانت أخت هابيل أحسن ، فأراد هابيل أن يستأثر بها على أخيه ، وأمره آدم عليه السلام أن يُزَوِّجه إياها فأبى ، فأمرهما أن يُقَرِّبَا قربانا ، وذهب آدم ليحج مكة ، واستحفظ السماوات على بنيه فأبين ، والأرضين والجبال فأبين ، فتقبل قابيل بحفظ ذلك . فلما ذهب قَرَّبَا قربانهما ، فَقَرَّب هابيل جذعة[٥] سمينة ، وكان صحاب غنم ، وقَرَّب قابيل حزمة من زرع من ردىء زرعه ، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختى ..، فقال : **﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾** .

وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم كان مباشراً لتقربهما القربان والتَّقَبُّل من هابيل دون قابيل ، فقال قابيل لآدم : إنما تُقُبِّل منه لأنك دعوت له ولم تَدْعُ لى ، وتَوَعَّد أخاه فيما بينه وبينه ، فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل فى الرعى

(٤) المائدة : ٢٧ - ٣١ . (٥) شاة فى عمر سَنَة .

فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما أبطأ به ، فلما ذهب إذا هو به ؛ فقال له : تُقُبِّل منك ولم يُتَقَبَّل منى ، فقال : إنما يتقبل الله من المتقين ، فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله .

وقيل : إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم ، وقيل : بل خنقه خنقاً شديداً وعَضّاً كما تفعل السباع فمات ، والله أعلم .

قوله له لما توعده بالقتل : ﴿ **لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ دل على خُلق حسن ، وخوف من الله تعالى وخشية منه ، وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذى أراد منه أخوه مثله .

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **لا تُقْتَل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأوَّل كِفْل[٦] من دمها ؛ لأنه كان أول مَن سَنَّ القتل** »[٧].

قال تعالى : ﴿ **فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى عجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين** ﴾ ، ذكر بعضهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنة ، وقال آخرون : مائة سنة ، ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين أخوين فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر ، فلما قتله عمد إلى الأرض يحفر له فيها ، ثم ألقاه ودفنه وواراه ، فلما رآه يصنع ذلك قال : ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ؟، ففعل به مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه[٨].

---

(٦) أى جزء ونصيب .

(٧) رواه البخارى (٣٣٣٥) ، ومسلم [فى كتاب القسامة (٢٧)] ، والترمذى (٢٦٧٣) ، والنسائى (٨٢/٧) ، وأحمد (٣٨٣/١ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣) .

(٨) البداية والنهاية (٩٢/١ – ٩٣) ، تفسير ابن كثير (٦٦/٢ – ٧٣) .

الحُمَّرَة[٩] التى فُجِعَت ببيضتها أو بفرخيها فشكت إلى النبى - ﷺ - حالها

عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : كنا مع النبى - ﷺ - فى سفر ، فدخل رجل غيضة[١٠] فأخرج بيضة حُمَّرَة ، فجاءت الحُمَّرَة تَرِفُ على رأس رسول الله - ﷺ - وأصحابه .

فقال النبى - ﷺ - : « **أيكم فجع هذه ؟** » ، فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضتها ، فقال النبى - ﷺ - : « **رُدَّهُ ، رُدَّهُ رحمة لها** ».

وفى رواية : كنا مع النبى - ﷺ - فى سفر فمررنا بشجرة فيها فَرْخا حُمَّرَة ، فأخذناهما ، قال : فجاءت الحُمَّرَة إلى النبى - ﷺ - وهى تَعَرَّضُ[١١]، فقال - ﷺ - : « **مَن فجع هذه بفرخيها ؟** » ، قال : فقلنا : نحن ..، فقال - ﷺ - : « **رُدُّوهُمَا** » .. قال : فرددناهما إلى مواضعهما[١٢].

---

(٩) الحُمَّرَةُ : ضرب من الطير كالعصافير .

(١٠) الغيضة : الشَّجَرُ المُلْتَفُّ .

(١١) وفى رواية : تُفَرِّش ، بمعنى أنها تَقَرَّبُ للأرض وترفرف بجناحيها .

(١٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٤٠٤/١) ، وأبو داود (٢٦٧٥ ، ٥٢٦٨) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٣٢/٦ - ٣٣) ، وابن كثير فى البداية والنهاية (١٧٣/٦) ، والسيوطى فى الخصائص الكبرى (٦٣/٢) وعزاه للبيهقى ولأبى نعيم ولأبى الشيخ ، وانظر النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٣٨/١) .

الحدأة و وِشاحُ البراءة

عن عائشة – رضى الله عنها – أن وليدة[١٣] كانت سوداء لحى من العرب ، فأعتقوها ، فكانت معهم ، قالت : فَخَرجَتْ صبية لهم عليها وشاح أحمر[١٤] من سيور ، قالت : فَوَضَعَتْهُ – أو وقع منها – فَمَرّتْ بها حُدَيَّاه[١٥] وهى مُلْقى ، فَحَسِبَتْهُ لحماً فخطفته ..، قالت : فالْتَمَسُوه فلم يجدوه . قالت : فاتهموني به فَعَذَّبُونى .. قالت : فَطَفِقُوا يُفَتِّشُون حتى فَتَّشوا قُبُلَها . قالت : والله إنى لقائمة معهم إذ مَرّت الحُدَيَّاه فَألْقَته ، قالت : فوقع بينهم ، فقلت : هذا الذى اتهمتمونى به زعمتم وأنا منه بريئة وهو ذا هو ...، قالت : فجاءت إلى رسول الله – ﷺ – فأسْلَمَت .

قال عائشة : فكان لها خِبَاء[١٦] فى المسجد أو حِفْش[١٧]، قالت : فكانت تأتينى فَتُحَدِّث عندى ، فلا تجلس عندى مجلساً إلا قالت :

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا　　ألا إنه من بلدة الكفر أنجانى

قالت عائشة : فقلت لها : ماشأنك لا تقعدين معى إلا قُلْتِ هذا ؟!، فَحَدَّثتنى بهذا الحديث[١٨].

---

(١٣) وليدة : أمَة .
(١٤) الوِشاح والوُشاح : خيطان من لؤلؤ تتوشح به المرأة ، وقيل ينسج من أديم .
(١٥) حدياه : حدأة .　(١٦) خيمة .　(١٧) بيت صغير .
(١٨) رواه البخارى (٤٣٩) ، (٣٨٣٥) ، انظر شرح ابن حجر فى فتح البارى (٦٣٦/١ – ٦٣٧) .

من معجزات الخلق والإيجاد

- ناقة صالح عليه السلام .
- طير إبراهيم عليه السلام .
- حمار العُزَيْر .
- الذى أحيا الإلٰهُ حِمَارَهُ .

ناقـة صالـح

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم * واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوَّأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين * قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون * فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾[19].

أرسل الله إلى قبيل ثمود أخاهم صالحاً ﴿ **قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ ، فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾[20]. وقال : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾[21].

وقوله : ﴿ **قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم أية** ﴾ أى قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به ، وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء ، عَيَّنوها بأنفسهم ، وطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه ، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام

---

(١٩) الأعراف : ٧٣ - ٧٨ .
(٢٠) الأنبياء : ٢٥ .   (٢١) النحل : ٣٦ .

إلى صلاته ودعا الله عز وجل ، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وَبْرَاء ، يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا ، فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومَن كان معه على أمره ، وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصَدَّهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحبَّاب صاحب أوثانهم ورباب بن مصعر ابن جليس ، وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له : شهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس ، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضاً فنهاه أولئك الرَّهط فأطاعهم فقال فى ذلك رجل من مؤمنى ثمود يقال له مهوش بن عثمة بن الدميل رحمه الله :

وكانت عصبة من آل عمرو — إلى دين النبى دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا — فَهَمَّ بأن يجيب فلو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزاً — وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حِجْرٍ — تولوا بعد رشدهم ذيابا

وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بئرها يوماً وتدعه لهم يوماً ، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملأون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر** ﴾[22]. وقال تعالى : ﴿ **هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** ﴾[23]، وكانت تسرح فى بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر[24] من غيره ليسعها لأنها كانت تتضلع[25] من الماء ، وكانت – على ما ذُكِر – خلقاً هائلاً ومنظراً رائعاً ، إذا مَرّت بأنعامهم نفرت منها ، فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبى عليه السلام عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم ، فيقال أنهم اتفقوا كلهم على قتلها .

قال قتادة : بلغنى أن الذى قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء فى خدورهن وعلى الصبيان .

---

(22) القمر : 28 . (23) الشعراء : 155 .
(24) الصَّدَرُ : الرجوع عن الماء ، وفى التنزيل : ﴿ حتى يصدر الرعاء ﴾ .
(25) تنتفخ أضلاعها من كثرة الشرب ..

قال ابن كثير : وهذا هو الظاهر لقوله تعالى : ﴿ **فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها** ﴾[٢٦]. وقال : ﴿ **وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها** ﴾[٢٧]. وقال : ﴿ **فعقروا الناقة** ﴾[٢٨]، فأسند ذلك على مجموع القبيلة ، فدل على رضى جميعهم بذلك والله أعلم .

وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير الطبرى وغيره من أئمة علماء التفسير أن سبب قتلها أن أمرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزاً كافرة ، وكانت من أشد الناس عداوه لصالح عليه السلام ، وكانت لها بنات حسان ومال جزيل ، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود ، وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال ، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته ، فكانتا تجعلان[٢٩] لمن التزم بقتل الناقة .

فدعت صدقة رجلاً يقال له الحباب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة ، فأبى عليها ...، فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك .

ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جذع ، وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً ، يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذى يُنسب إليه .

وقالت له : أعطيك أى بناتى شئت على أن تعقر الناقة ، فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواةً من ثمود فاتَّبَعَهُما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ **وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون** ﴾[٣٠]، وكان رؤساء فى قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكمالها فطاوعتهم على ذلك ، فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء ، وقد كمن لها قدار بن سالف فى أصل صخرة على طريقها ،

---

(٢٦) الشمس : ١٤ . (٢٧) الإسراء : ٥٩ . (٢٨) الأعراف : ٧٧ .
(٢٩) تجعلان له أجرة . (٣٠) النمل : ٤٨ .

وكمن لها مصدع فى أصل أخرى ، فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم[٣١] به عضلة ساقها .

وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها – وكانت من أحسن الناس وجهاً – فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته ، فَشَدَّ قدار على الناقة بالسيف فكشف عن عرقوبها ؛ فَخَرَّت ساقطة إلى الأرض ورَغَت[٣٢] رغاةً واحدةً تَحَذِّر سقبها[٣٣]، ثم طعن فى لبتها[٣٤] فنحرها ، وانطلق سقبها – وهو فصيلها – حتى أتى جبلاً منيعاً فصعد أعلى صخرة فيه ورغا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عمن سمع الحسن البصرى أنه قال : يارب أين أمى ؟ .

ويقال : إنه رغا ثلاث مرات ، وإنه دخل فى صخرة فغاب فيها ، ويقال إنهم اتبعوه فعقروه مع أمه ، فالله أعلم .

فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحاً عليه السلام ، فجاءهم وهم مجتمعون ، فلما رأى الناقة بكى وقال : ﴿ **تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام** ﴾[٣٥] الآية .

وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء ، فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا : إن كان صادقاً عَجَّلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته ﴿ **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مَهْلِك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم** ﴾[٣٦]، فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبى الله ، فأرسل الله – سبحانه وتعالى وله العزة ولرسوله – عليهم حجارة فرضختهم سلفاً وتجيلاً قبل قومهم ، وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة[٣٧] ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه

---

(٣١) قطع . (٣٢) الرغاء : صوت الإبل .
(٣٣) السَّقْبُ : ولد الناقة . (٣٤) اللبة : موضع الذبح منها .
(٣٥) هود : ٦٥ .
(٣٦) النمل : ٤٩ – ٥١ . (٣٧) التأجيل .

السلام ، وأصبحوا فى اليوم الثانى من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة ، وأصبحوا فى اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة ، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تَحَنَّطوا[٣٨] وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه – عياذاً بالله من ذلك –، لا يدرون ماذا يفعل بهم !، ولا كيف يأتيهم العذاب ، ولما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس فى ساعة واحدة ﴿ **فأصبحوا فى دارهم جاثمين** ﴾ أى صرعى لا أرواح فيهم ، و لم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى[٣٩].

طَيْرُ إبراهيم عليه السلام

﴿ وإذ قال إبراهيم رَبِّ أَرِنِى كيف تُحْيِ الموتى قال أَوَلَم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فَخُذ أربعة من الطير فَصُرْهُنَّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا وأعلم أن الله عزيز حكيم ﴾[٤٠].

قوله تعالى : ﴿ **قال فَخُذ أربعة من الطير** ﴾ .. اختلف المفسرون فى هذه الأربعة ماهى ؟، وإن كان لا طائل تحت تعيينها ، إذ لو كان ذلك مهم لنص عليه القرآن .

فروى عن ابن عباس أنه قال : هى الغرنوق ، والطاوُس ، والديك ، والحمامة .

وعنه أيضا : أنه أخذ وزاً ، ورأْلاً – وهو فرخ النعام –، وديكاً ، وطاوُساً .

وقال مجاهد وعكرمة : كانت حمامةً ، وديكاً ، وطاوُساً ، وغُرَابَاً .

---

(٣٨) وضعوا الحَنُوط ؛ وهو ما يخلط من الطِّيب لأجساد الموتى وأكفانهم .
(٣٩) تفسير ابن كثير (٣٦٤/٢ – ٣٦٦) ، البداية والنهاية (١٣٠/١ – ١٣٧) .
(٤٠) البقرة : ٢٦٠ .

وقوله : ﴿ **فَصُرْهُنَّ إليك** ﴾ أى : وَقَطِّعْهُنَّ (قاله ابن عباس وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك ، وأبو الأسود الدؤلى ، و وهب بن منبه ، والحسن ، والسدى ، وغيرهم) .

وعن ابن عباس : ﴿ **فصرهن إليك** ﴾ أى أَوْثِقْهُنّ ، فلما أَوْثَقَهُنّ ذبحهن ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءا ...، فذكر المفسرون أنه عمد إلى أربعة من الطير ، فذبحهن ثم قَطَّعَهُنَّ ونتف ريشهن ومَزَّقهن وخلط بعضهن ببعض ، ثم جزأهن أجزاء ، وجعل على كل جبل منهن جزءاً ، (قيل : أربعة أجْبُل ، وقيل : سبعة) .

قال ابن عباس : وأخذ رءوسهن بيده ، ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهن ، فدعاهن كما أمره الله عز وجل ، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم ، والأجزاء من كل طائر يتصل ببعضها إلى بعض ، حتى قام كل طائر على حدته ، وأتينه يمشين سعيا ، ليكون أبلغ له فى الرؤية التى سألها ، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذى فى يد إبراهيم عليه السلام ، فإذا قَدَّم له غير رأسه يأباه ، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته ، ولهذا قال : ﴿ **واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾ أى : عزيز لا يغلبه شيء ، ولا يمتنع من شيء ، وما شاء كان بلا ممانع ، لأنه القاهر لكل شيء ، حكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره[41].

□ لكن : هل شَكَّ إبراهيم عليه السلام ؟ :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « **نحن أحقُّ بالشَّكِّ من إبراهيم إذ قال : ﴿ رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾» الحديث**[42].

وقوله – ﷺ – : « **نحن أحق بالشك من إبراهيم** » معناه : أن الشك مستحيل فى حق إبراهيم ، فإن الشك فى إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء

(٤١) تفسير ابن كثير (١/٤٧١ – ٤٧٢) .

(٤٢) رواه البخارى (٣٣٧٢) ، ومسلم [فى كتاب الإيمان (٢٣٨)] ، وابن ماجه (٤٠٢٦) ، وأحمد (٢/٣٢٦) .

لكنتُ أنا أحق به من إبراهيم ، وقد علمتم أنى لم أشك ، فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك[٤٣].

وأخرج أبو عبد الله الحاكم عن محمد بن المنكدر أنه قال : التقى عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال ابن عباس لابن عمرو : أى آية فى القرآن أرجى عندك ؟، فقال عبد الله بن عمرو : قول الله عز وجل : ﴿ **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾[٤٤]، فقال ابن عباس : لكن أنا أقول قول الله عز وجل : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى** ﴾ فرضى من إبراهيم قوله : ﴿ **بلى** ﴾ ، قال : فهذا لما يعترض فى النفوس ويوسوس به الشيطان[٤٥].

حِمَارُ العُزَيْر

﴿ **أو كالذى مَرَّ على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنَّى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لَبِثْتَ قال لَبِثْتُ يوماً أو بعض يوم قال بل لَبِثْتَ مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لَم يَتَسَنَّه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظُر إلى العظام كيف نُنْشِزُهَا ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أَعْلَمُ أن الله على كل شىء قدير** ﴾[٤٦].

كان عزير عبداً صالحاً حكيماً خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها ، فلما انصرف أتى إلى خربة حين قامت الظهيرة وأصابه الحَرُّ ، ودخل الخربة وهو على حماره ، فنزل عن حماره ، ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب ، فنزل فى ظل تلك الخربة ، وأخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذى كان معه

(٤٣) شرح النووى لصحيح مسلم (١٨٣/٢) ، فتح البارى (٤٧٤/٦ - ٤٧٥) .
(٤٤) الزمر : ٥٣ .
(٤٥) أخرجه أبو عبد الله الحاكم فى المستدرك (٦٠/١) ، (٢٦٠/٤ - ٢٦١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبى فقال : فيه انقطاع .
(٤٦) البقرة : ٢٥٩ .

فى القصعة ، ثم أخرج خبزاً يابساً معه فألقاه فى تلك القصعة فى العصير ليبتل ليأكله ، ثم استلقى على قفاه وأسند رجليه إلى الحائط فنظر سقف تلك البيوت ورأى مافيها وهى قائمة على عروشها وقد باد أهلها ، ورأى عظاماً بالية فقال : ﴿ **أنّى يحيى هذه الله بعد موتها** ﴾ ، فلم يشك أن الله يحييها ؛ ولكن قالها تعجباً ، فبعث الله ملك الموت فقبض روحه ، فأماته الله مائة عام .

فلما أتت عليه مائة عام وكانت فيما بين ذلك فى بنى إسرائيل أمور وأحداث ، فبعث الله إلى عزير مَلَكاً فخلق قلبه ليعقل قلبه ، وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف يحى الله الموتى ، ثم ركب خَلْقَه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ، ثم نفخ فيه الروح ، كل ذلك وهو يرى ويعقل ، فاستوى جالساً فقال له المَلَك : ﴿ **كم لَبِثْتَ قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم** ﴾ ، وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبُعِثَ فى آخِر النهار والشمس لم تَغِبْ فقال : أو بعض يوم ولم يتم لى يوم ، فقال له الملك : ﴿ **بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك** ﴾ يعنى بالطعام الخبز اليابس وشرابه العصير الذى كان اعتصره فى القصعة ، فإذا هما على حالهما ، لم يتغير العصيرُ والخبز يابس ، فذلك قوله : ﴿ **لم يتسنه** ﴾ يعنى لم يتغير ، وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شيء من حالهما ، فكأنه أنكر فى قلبه ، فقال له الملك : أنكرت ما قلت لك ؟!، انظر إلى حمارك ، فنظر إلى حماره قد بليت عظامه وصارت نَخِرَة ، فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى رَكَّبَه الملك ، وعُزير ينظر إليه ، ثم ألبسها العروق والعصب ، ثم كساها اللحم ، ثم أنبت عليها الجلد والشعر ، ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعا رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقاً يظن القيامة قد قامت ، فذلك قوله : ﴿ **وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما** ﴾ ، يعنى وانظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضا فى أوصالها حتى إذا صارت عظاماً مصوراً حماراً بلا لحم ، ثم انظر كيف نكسوها لحما ، ﴿ **فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير** ﴾ من إحياء الموتى وغيره .

فركب حماره حتى أتى مَحَلَّته فأنكره الناس ، وأنكر الناس ، وأنكر

منزله ، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء **مُقْعَدَة** قد أتى عليها مائة وعشرون سنة ، كانت أَمَةً لهم فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكِبَرُ أصابها الزمانة(٤٧) ، فقال لها عزير : **ياهذه ! أهذا منزل عزيز ؟**، قالت : نعم ، هذا منزل عزير .. ، فبكت وقالت : ما رأيتُ أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا ، وقد نَسِيَه الناس ...، قال : **فإنى أنا عزير** ، **كان الله أماتنى مائة سنة ثم بعثنى** ، قالت : سبحان الله ؟ فإن عزيراً قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر ، قال : **فإنى أنا عزير** ، قالت : فإن عزيراً رجل متسجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء ، فادع الله أن يَرُدَّ علَّى بصرى حتى أراك فإن كنت عزيراً عرفتك .

فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا ، وأخذ بيدها وقال : **قومى بإذن الله** ، فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال ، فنظرت فقالت : أشهد أنك عزير ، وانطلقت إلى محلة بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشر سنة وبنى بنيه شيوخ فى المجلس ، فنادتهم فقالت : هذا عزير قد جاءكم فَكَذَّبُوها ، فقالت : أنا فلانة مولاتكم دعا لى ربه فَرَدّ علىّ بصرى وأطلق رِجْلَىَّ ، وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه !!.

فنهض الناس فأقبلوا إليه فنظروا إليه ، فقال ابنه : كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه ، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير .

فقالت بنو إسرائيل : فإنه لم يكن فينا أحد حفظ التوارة - فيما حُدِّثْنَا - غير عزير ، وقد حرف بختنصر التوراة و لم يَبْقَ منها شيء إلا ما حفظت الرجال فَاكْتُبْهَا لنا ، وكان أبوه قد دفن التوراة أيام بختنصر فى موضع لا يعرفه أحد غير عزير ، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة ، وكان قد عفن الورق ودرس(٤٨) الكتاب .

---

(٤٧) الزَّمَانة : عاهة من العاهات ...، ومن سياق القصة سنعرف أنها فاقدة للإبصار ولا تستطيع المشى .

(٤٨) درس : بلى .

وجلس فى ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله ، فجَدَّدَ لهم التوارة ، ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه فَتَذَكَّر التوارة فَجَدَّدَهَا لبنى إسرائيل فَمِنْ ثَمَّ قالت اليهود عزير ابن الله[٤٩] للذى كان من أمر الشهابين ، وتجديده التوراة ، وقيامه بأمر بنى إسرائيل .

قال ابن عباس : فكان كما قال الله تعالى : ﴿ **ولنجعلك آية للناس** ﴾ يعنى لبنى إسرائيل . وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب ، لأنه مات وهو ابن أربعين سنة فبعثه الله شاباً كهيئة يوم مات[٥٠].

الذى أحيا الإلٰهُ حِمَارَهُ

أخرج ابن أبى الدنيا عن الشعبى أن قوماً أقبلوا من اليمن متطوعين فى سبيل الله ، فنفق حمار رجل منهم ، فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى ، فقام فتوضأ وصَلَّى ثم قال : « **اللهم إنى جئت من الدفينة[٥١] مجاهداً فى سبيلك ، وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث مَن فى القبور لا تجعل لأحدٍ علىَّ اليوم مِنَّة ، أطلب إليك أن تبعث لى حمارى** » ، فقام الحمار ينفض أُذُنيه ، فَأَسْرَجَهُ وألجمه ، ثم ركبه ، فأجراه ، فلحق بأصحابه ، فقالوا : ما شأنك ؟ قال : شأنى أن الله بعث حمارى .

قال الشعبى : فأنا رأيتُ الحمار بِيع أو يُبَاع فى الكُناسة – يعنى بالكوفة – .

قال ابن أبى الدنيا : وأخبرنى العباس بن هشام عن أبيه عن جده عن مسلم بن عبد الله بن شريك النخعى أن صاحب الحمار رجل من النخع يقال له : نباتة بن يزيد خرج فى زمن عمر غازياً ، حتى إذا كان بشن عميرة[٥٢]

---

(٤٩) فى القرآن الكريم : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] .
(٥٠) البداية والنهاية (٤٤/٢ – ٤٥) ، تفسير ابن كثير (٤٦٩/١ – ٤٧٠) .
(٥١) ماء لبنى سليم على خمس مراحل من مكة إلى البصرة .
(٥٢) مكان .

نفق حماره – فذكر القصة – غير أنه قال : فباعه بعد بالكناسة ، فقيل له : تبيع حمارك وقد أحياه الله لك ؟!، قال : فكيف أصنع ؟! .

وقد قال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظتُ منها هذا البيت :

ومنا الذى أحيا الإلٰه حمارَهُ   وقد مات منه كل عضو ومِفْصَل(٥٣)

قلت : وهذه الكرامة التى وقعت لهذا المجاهد فى سبيل الله إنما هى معجزة للنبى – ﷺ –، لأنها حصلت له ببركة اتباعه لما جاء به – ﷺ –، والتزامه بكتاب الله وسنة النبى – ﷺ –.

(٥٣) البداية والنهاية (٦/١٧٥ – ١٧٦) ، من عاش بعد الموت (٤٨ – ٤٩) ، دلائل النبوة للبيهقى (٦/٤٨ – ٤٩) وقال البيهقى : هذا إسناد صحيح .

من قصص الحيوان فى الحديث والقرآن

- الحوت (القبر الذى جرى بصاحبه) .
- بقرة بنى إسرائيل .
- البقرة تتكلم !! .
- قصة الفيل والطير الأبابيل .
- القردُ والغاشُ .
- النمل يُسَبِّحُ لله .
- الفرس رأت الملائكة ! .
- الجراد والقُمَّل والضفادع جند من جنود الله .
- مثل السفيه والحليم .
- الرفق بالحيوان فى الإسلام .
- دخلت امرأة النار فى هرة .

الحوت (القبر الذى جرى بصاحبه)

﴿ وإن يونس لمن المرسلين * إذ أبق إلى الفُلك المشحون * فَسَاهَمَ فكان من المُدْحَضِين * فالتقمه الحوت وهو مُليم * فلولا أنه كان من المُسَبِّحين * لَلَبِثَ فى بطنه إلى يوم يُبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾(٥٤).

بعث الله تبارك وتعالى يونس بن متى عليه السلام إلى أهل قرية نينوى ، وهى قرية من أرض الموصل ؛ فدعاهم إلى الله تعالى ، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث ، فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبى لا يكذب ، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، وفرقوا بين الأمهات وأولادها ، ثم تَضَرَّعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ، ورَغَتْ الإبل وفصلانها(٥٥)، وخارت البقر وأولادها ، وثَغَتْ الغنم وسخالها ، فرفع الله عنهم العذاب ، قال الله تعالى : **﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾**(٥٦).

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم فى سفينة فلججت بهم ، وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه ، فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ، فأعادوها فوقعت عليه أيضا فأبوا ، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً ، قال الله تعالى : **﴿ فساهم فكان من المُدْحَضين ﴾** ، أى وقعت عليه القرعة ، فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ، ثم ألقى نفسه فى البحر ، وقد أرسل الله سبحانه من البحر حوتاً يشق البحار فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة ، فأوحى الله إلى ذلك الحوت

---

(٥٤) الصافات : ١٣٩ - ١٤٦ .

(٥٥) جمع فصيل ، وهو ابنها الصغير .

(٥٦) يونس : ٩٨ .

أن لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظماً ، فإن يونس ليس لك رزقاً ، وإنما بطنك تكون له سجناً .

قال تعالى : ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه**[٥٧] **فنادى فى الظلمات أن لا إلٰه إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين** ﴾[٥٨].

قال عوف الأعرابى : لما صار يونس فى بطن الحوت ظن أنه قد مات ، ثم حُرِّك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ، ثم نادى : **يارب اتخذتُ لك مسجداً فى موضع لم يبلغه أحد من الناس .**

قال - ﷺ - : « **دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت : ﴿ لا إلٰه إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ لم يدع بها مسلم ربه فى شىء قط إلا إستجاب له** »[٥٩]..

وروى ابن أبى حاتم عن أنس مرفوعاً إلى النبى - ﷺ - قال : « **إن يونس النبى عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت فقال : اللهم لا إلٰه إلا أنت سبحانه إنى كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحت العرش ، فقالت الملائكة : يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة ، فقال : أما تعرفون ذاك ؟ قالوا : لا يارب ومن هو ؟، قال : عبدى يونس ، قالوا : عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل مُتَقَبَّل ودعوة مُجَابَة ، قالوا : يارب أَوَلاَ ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه فى العراء** »[٦٠].

---

(٥٧) أى لن نُضَيِّق عليه .　　(٥٨) الأنبياء : ٨٧ - ٨٨ .

(٥٩) أخرجه أحمد فى مسنده (١ ٧٠) ، والترمذى (٣٥٠٥) ، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (ص ٢٠٤) .

(٦٠) تفسير ابن كثير (٣ ٣٠٦ - ٣٠٨) ، (٤/٣٢ - ٣٤) ، (٤/٦٣٩) ، البداية والنهاية (١/٢٣١ - ٢٣٦) .

بقرة بنى إسرائيل

﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هُزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ۞ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ۞ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ۞ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون ۞ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مُسَلَّمَة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ۞ وإذ قتلتم نفسا فادَّارأتم فيها والله مُخرج ما كنتم تكتمون ۞ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾[٦١].

عن أبي العالية فى قول الله تعالى : **﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾** قال : كان رجل من بنى إسرائيل ، وكان غنياً ولم يكن له ولد ، وكان له قريب ، وكان وارثه ، فقتله ليرثه ، ثم ألقاه على مجمع الطريق ، وأتى موسى عليه السلام فقال له : إن قريبى قُتل وأتى إلىّ أمر عظيم ، وإنى لا أجد أحداً يُبيِّن لى مَن قَتَلَه غيرك يانبى الله .

قال : فنادى موسى فى الناس ؛ فقال : أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا يبينه لنا ، فلم يكن عندهم علم ، فأقبل القاتل على موسى عليه السلام فقال : أنت نبى الله ، فَسَل لنا ربك أن يبين لنا ، فسأل ربه ، فأوحى الله **﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾** فعجبوا من ذلك ، فقالو : **﴿ أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ۞ قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ماهى ؟ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ﴾** يعنى لا هرمة **﴿ ولا بكر ﴾**

---

(٦١) البقرة : ٦٧ - ٧٣ .

يعنى ولا صغيرة ﴿ **عوان بين ذلك** ﴾ أى نصف بين البكر والهرمة ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها** ﴾ أى صاف لونها ﴿ **تسر الناظرين** ﴾ أى تعجب الناظرين ، ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول** ﴾ أى لم يذلها العمل ﴿ **تثير الأرض ولا تسقى الحرث** ﴾ يعنى ليست بذلول تثير الأرض ﴿ **ولا تسقى الحرث** ﴾ أى ولا تعمل فى الحرث ﴿ **مُسَلَّمة** ﴾ أى مُسَلَّمة من العيوب ﴿ **لا شية فيها** ﴾ يقول : لا بياض فيها ﴿ **قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ .

قال : ولو أن القوم حين أُمِرُوا بذبح بقرة اشتروا أى بقرة كانت لأجزأت عنهم ، ولكنهم شَدَّدُوا فَشَدَّد الله عليهم ، ولولا أنهم استثنوا فقالوا : ﴿ **وإنا إن شاء الله لمهتدون** ﴾ لما اهتدوا إليها أبداً ، فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التى نُعِتَت لهم إلا عند عجوز ، وعندها يتامى وهى القَيِّمة عليهم ، فلما علمت أنه لا يزكو لهم غيرها أغلت عليهم فى الثمن ، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة ، وأنها سألت أضعاف ثمنها ، فقال لهم موسى : إن الله قد خَفَّفَ عليكم ، فَشَدَّدتم على أنفسكم ، فأعطوها رضاها وحكمها ، ففعلوا واشتروها فذبحوها ، فأمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القتيل ، ففعلوا فرجع إليه روحه ، فسمى لهم قاتله ، ثم عاد ميتاً كما كان ، فأخذ قاتله – وهو قريبه الذى كان يريد أن يرثه – فقتله الله على أسوأ عمله(٦٢).

---

(٦٢) تفسير ابن كثير (١/١٦٢ – ١٦٣) ، البداية والنهاية (١/٢٩٣ – ٢٩٥) ، فتح البارى (٦/٥٠٧) وعزاه لآدم بن أبى إياس فى تفسيره ثم قال : وأخرج ابن جرير هذه القصة مطولة من طريق العوفى عن ابن عباس ، ومن طريق السدى كذلك ، وأخرجها هو وابن أبى حاتم وعبد بن حميد بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلمانى أحد كبار التابعين .

البقرة تتكلم !!

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها فالتفتت إليه البقرة فقالت : إنى لم أُخلَق لهذا ، ولكنى إنما خُلقت للحرث** » .. فقال الناس : سبحان الله !!! – تَعَجُّباً وفزعا – أَبَقَرة تَكَلَّم ؟!، فقال رسول الله – ﷺ – : « **فإنى أومن به وأبو بكر وعمر** » .

وفى رواية عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **بينما رجل يركب على بقرة ...** » فذكر الحديث[٦٣].

قصة الفيل والطير الأبابيل

﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سِجِّيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾[٦٤].

كان أبرهة الأشرم قد بنى بصنعاء كنيسة سَمَّاها : « **القَلِيس** » بالرخام وجَيِّد الخشب المُذَهَّب ، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة وجشمهم أنواعاً من السُّخَر ، فكان مَن تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة ، وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاماً وأحجاراً وأمتعة عظيمة ، ورَكَّب فيها صُلباناً من ذهب وفضة ، وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها باهراً .

وكتب أبرهة إلى ملك الحبشة : « إنى قد بنيتُ لك كنيسة لم يُبْنَ مثلها

(٦٣) رواه البخارى فى صحيحه (٣٤٧١) ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم (١٣) ، وابن حبان فى صحيحه (٦٤٥١ – ٦٤٥٢ ، ٦٨٦٤) ..

(٦٤) الفيل : ١ – ٥ .

أحدٌ قط ، ولستُ تاركاً العرب حتى أصرف حَجَّهم عن بيتهم الذى يَحُجُّون إليه » .

فبلغ ذلك بعض نَسَأَةِ الشهور[٦٥]، فبعث رجلين من قومه وأمرهما أن يخرجا حتى يَتَغَوَّطَا فيها . ففعلا ، فلما بلغه ذلك غضب وقال : مَن اجترأ على هذا ؟، فقيل له : بعضُ أهل الكعبة فعل ذلك لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا ، فغضب فجاء فقعد فيها[٦٦] أى أنه ليس لذلك بأهل ..، فقال : ونصرانيتى لَأَهْدِمَنَّ ذلك البيت ، ولنخُرِّبَنَّه حتى لا يحجه حاجٌّ أبداً ، فدعا بالفيل وأَذَّنَ فى قومه بالخروج ، ورحل ومَن اتبعه من أهل اليمن ، وكان أكثر مَن تبعه منهم : عك وخثعم والأشعريون ، فخرجوا يرتجزون :

إن البلـــد لبلـــد مأكـــول تأكله عك والأشعريون والفيل

وسمعت العرب بذلك فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : « **ذو نفر** » فدعا قومه ومَن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريده من هدمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك مَن أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزم ذو نفر وأصحابه ، وأُخِذَ له ذو نفر فأتى به أسيراً .. فلما أراد قتله قال له ذو نفر : يٰأيها الملك لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً من القتل ، فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلتى خثعم – وهما : شهران وناهس – ومَن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله ، فهزمه أبرهة ، وأُخِذَ له نفيل ابن حبيب أسيراً ، فأتى به ، فلما هَمّ بقتله قال له نفيل : أيها الملك لا تقتلنى

---

(٦٥) أى الذين يؤخرون الأشهر الحرم إلى الحل بمكة حتى يتوافق سوق تجارتهم مع موسم الحج ، انظر تفسير الأئمة لقوله تعالى : ﴿ إنما النسىء زيادة فى الكفر ﴾ الآية .

(٦٦) أى تَبَرَّزَ فيها .

فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيلتى خثعم بالسمع والطاعة ..؛ فخلى سبيله وخرج به معه يدله .

حتى إذا كانوا بالمُغَمِّس – من مكة على ستة أميال – فبعثوا مقدماتهم[٦٧] إلى مكة ، فخرجت قريش متفرقين فى رؤوس الجبال ، وقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء القوم ، فلم يبق بمكة أحد إلا عبد المطلب بن هاشم ، أقام على سقايته ، وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار ، أقام على حجابة البيت .

وساق جنودُ أبرهة إليه أموالَ تهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم – وهو يومئذ كبير قريش وسيدها .

وبعث أبرهةُ حناطة الحميرى إلى مكة ، وقال له : سَل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك يقول إنى لم آتِ لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربى فائتنى به .

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة .

فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام – أو كما قال – فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته ، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفْع عنه .

فقال له حناطة : فانْطَلِق معى إليه فإنه قد أمرنى أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر – وكان صديقاً له – حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟، فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ؟ وماعندى غناء فيما نزل بك إلا أن أُنَيْسًا – سائس الفيل – صديق لى ، فسأرسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال : حسبى .

(٦٧) مقدمة الجيش .

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة ، يُطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير فاسْتَأْذِن له عليه وانفعه عنده بما استطعت .. قال : أَفْعَل .. ؛ فكلم أنيسٌ أبرهةَ فقال له : أيها الملك ! هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عين مكة ، وهو الذى يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال ، فَائْذَن له عليك فليكلمك فى حاجته ؛.. فَأَذِنَ له أبرهة .

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم ، فلما رآه أبرهة أَجَلَّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير مُلكه ، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : ماحاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ؛ فقال : حاجتى أن يرد علىَّ الملك مائتى بعير أصابها لى ! .

فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كَلَّمْتَنى ، أَتُكَلِّمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لأهدمه لا تكلمنى فيه ؟!!، فقال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه .. فقال : ماكان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك ، فَرَدَّ على عبد المطلب إبله .

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤوس الجبال .

ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . وقال عبد المطلب – وهو آخذ بحلقة باب الكعبة – :

اللهم إن العبد يمنع رحله فامنع حِلَالَك[٦٨]
لا يغلبوا بصليبهم ومحالهم[٦٩] غَدْوَاً محالك

(٦٨) الحِلال : القوم الحُلول فى المكان ... والحِلال أيضاً متاع البيت .
(٦٩) المِحَال : القوة .

إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر مابدا لك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومَن معه من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل ؟!.

فلما أصبح أبرهة تَهَيَّأَ لدخول مكة ، وهيأ فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل « **محموداً** » ، فلما وَجَّهُوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ، ثم أخذ بأُذِنِه فقال : ابْرك محمود وارْجَع راشدا من حيث أتيت ، فإنك فى بلد الله الحرام ،... وأَرْسَلَ أُذُنَهُ ..؛ فبرك الفيل ...، وضربوا الفيل ليقوم فَأَبَىٰ ، فضربوا رأسه ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن[٧٠] لهم فى مراقة[٧١] فبزغوه[٧٢] بها ليقوم فأبى ، فوَجَّهُوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف[٧٣] مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى جاءوا منها ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل فى ذلك :

ألا حيّيتِ عنا يارُدَينا نَعِمْناكم مع الإصباح عَيْنا
رُدينةُ لو رأيتِ فلا ترَيه لدى جنبِ المحصّبِ مارأينا
إذاً لَعَذَرْتِنِى وحَمِدْتِ أمرى ولم تلمى على مافات بينا
حَمِدْتُ الله إذ أبصرتُ طيراً وخِفْتُ حجارةً تُلْقَىٰ علينا
وكل القوم يسألُ عن نفيل كأن علىَّ للحُبْشَانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ؛

---

(٧٠) المِخجَن والمِخجَنَة : العصا المعوجة .
(٧١) المَرَاقُ : أسفل البطن .
(٧٢) البَزْغُ : التشريط وإساله الدم والطعن .
(٧٣) الخطاف : طائر معروف .

وأصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه .

عن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت : لقد رأيتُ قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدَيْن يستطعمان الناس[٧٤].

قال – ﷺ – : « **إنما سمى الله البيت : العتيق ؛ لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة ، فلم يظهر عليه جبار قط** »[٧٥]..

القردُ والغاشُّ

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة أن رسول الله – ﷺ – قال : « **إن رجلاً حمل معه خَمْرَاً فى سفينة ومعه قرد ، قال : فكان الرَّجُل إذا باع الخمر شَابَهُ[٧٦] بالماء ثم باعه** » .

قال : « **فأخذ القرد الكيس ، فصعد به فوق الدقل[٧٧]، قال : فجعل يطرح ديناراً فى البحر وديناراً فى السفينة حتى قَسَمَه** »[٧٨].

---

(٧٤) يُرَاجَع فيما كتبناه : البداية والنهاية (٢/١٧٠ – ١٧٦) ، دلائل النبوة للبيهقى (١/١١٥ – ١٢٥) ، سيرة ابن هشام (١/٤٩ – ٥١) ، دلائل النبوة لأبى نعيم (١٠٠ – ١٠٨) ، مستدرك الحاكم (٢/٥٣٥) ، تفسير ابن كثير (٤/٨٧٤ – ٨٨٠) .

(٧٥) أخرجه الترمذى (٣١٧٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم فى المستدرك (٢/٣٨٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه .

(٧٦) أى خَلَطَهُ .

(٧٧) الدَّقَلُ والدَّوْقَلُ : خشبة طويلة تُشَدُّ فى وسط السفينة يُمَدُّ عليه الشّراع .. وهو ما يسميه البحرية بالصّارى .

(٧٨) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢/٣٠٦ ، ٣٣٥ – ٣٣٦) .

النَّمْلُ يُسَبِّح لله

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : **« نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة ، فلدغته نملة ، فأمر بجهازه**[٧٩] **فَأُخرِجَ مِن تحتها ، ثم أمر ببيتها فَأُحْرِق بالنار ، فأوحى الله إليه : فهلَّا نملة واحدة ؟!**[٨٠]**»**[٨١].

وفى رواية : **« فأوحى الله إليه : أن قرصتك نملة أحرَقْتَ أُمَّة من الأُمَم تُسَبِّح »**[٨٢]..

الفَرَس رأت الملائكة !

عن أُسَيد بن حُضير – رضى الله عنه – قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس[٨٣]، فسكت ؛ فسكنت ..، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجْتَرَّهُ[٨٤] رفع رأسه إلى السماء حتى مايراه ..

فلما أصبح حَدَّث النبى – ﷺ – فقال له : **« أقرأ ياابن حُضير ، اقرأ ياابن حضير »** قال : فأشفقتُ يارسول الله أن تطأ يحيىٰ ، وكان منها قريبا ،

---

(٧٩) مَتَاعِة .

(٨٠) أى فهلاّ أحرقت نملة واحدة ، وهى التى آذتك بخلاف غيرها .

(٨١) رواه البخارى (٣٣١٩) ، ومسلم [فى كتاب السلام (١٤٩ ، ١٥٠)] ، وأبو داود (٥٢٦٥) ، وأحمد (٣١٨/٢ ، ٤٤٩) ، والنسائى (٢١١/٧) ، ابن حبان (٥٦١٨) .

(٨٢) رواه البخارى (٣٠١٩) ، ومسلم [فى السلام (١٤٨)] ، وابن ماجه (٣٢٢٥) ، والنسائى (٢١١/٧) ، وأحمد (٤٠٣/٢) ، وابن حبان (٥٦١٨) .

(٨٣) تحركت من مكانها .

(٨٤) أى اجتر ولده من المكان الذى هو فيه حتى لا تطأه الفرس .

فرفعتُ رأسى فانصرفتُ إليه ، فرفعتُ رأسى إلى السماء ، فإذا مثلُ الظُّلّة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال - ﷺ - : « **وتدرى ما ذاك ؟** » قال : لا ، قال : « **تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها ، لا تتوارى**[٨٥] **منهم** »[٨٦].

وفى حديث البراء بن عازب قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف ، وإلى جانبه حصان مربوط بِشَطَنَين[٨٧]، فَتَغَشّته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبى - ﷺ - فذكر ذلك له ، فقال - ﷺ - : « **تلك السكينة تنزلت بالقرآن** »[٨٨].

الجراد والقُمّل والضفادع .. جُنْدٌ من جنود الله !

﴿ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين * ولما وقع عليهم الرِّجز قالوا ياموسى ادْعُ لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرِّجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ﴾[٨٩].

قال ابن عباس : إن القوم لما قالوا لمّوسى مهما تأتنا بآية من ربك فهى عندنا من باب السِّحر ، ونحن لا نؤمن بها البتة ، وكان موسى عليه السلام

(٨٥) ما تستتر منهم .

(٨٦) رواه البخارى (٥٠١٨) وهذا لفظه ، انظر كلام ابن حجر عليه فى الفتح (٨/٦٨٠ - ٦٨٢) ، ومسلم فى صلاة المسافرين برقم (٢٤١) ، انظر شرح النووى (٦/٨١ -٨٣) .

(٨٧) جمع شَطَن ، وهو الحبل .

(٨٨) رواه البخارى (٥٠١١) ، ومسلم فى صلاة المسافرين برقم (٢٤٠) ، والترمذى (٢٨٨٥) ، وأحمد (٤/٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨) .

(٨٩) الأعراف : ١٣٢ - ١٣٥ .

رجلاً حديداً[٩٠]. فعند ذلك دعا عليهم ؛ فاستجاب الله له فأرسل عليهم الطوفان الدائم ليلاً ونهاراً ، سَبْتًا إلى سبت ، حتى كان الرجل منهم لا يرى شمسا ولا قمرا ، ولا يستطيع الخروج من داره ، وجاءهم الغَرَق ، فصرخوا إلى فرعون واستغاثوا به ، فأرسل إلى موسى عليه السلام وقال : اكشف عنا

قال ابن عباس : إن القوم لما قالوا لموّسى مهما تأتنا بآية من ربك فهى عندنا من باب السِّحر ، ونحن لا نؤمن بها البتة ، وكان موسى عليه السلام رجلاً حديداً[٩٠]. فعند ذلك دعا عليهم ؛ فاستجاب الله له فأرسل عليهم الطوفان الدائم ليلاً ونهاراً ، سَبْتًا إلى سبت ، حتى كان الرجل منهم لا يرى شمسا ولا قمرا ، ولا يستطيع الخروج من داره ، وجاءهم الغَرَق ، فصرخوا إلى فرعون واستغاثوا به ، فأرسل إلى موسى عليه السلام وقال : اكشف عنا العذاب ، فقد صارت مصر بحراً واحداً ، فإن كشفت هذا العذاب آمَنَّا بك ، فأزال الله عنهم المطر ، وأرسل الرياح فجففت الأرض ، وخرج من النبات ما لم يروا مثله قط ، فقالوا : هذا الذى جزعنا منه خير لنا ، لكنا لم نشعر ، فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بنى إسرائيل ، فنكثوا العهد ، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل النبات ، وعَظُم الأمر عليهم حتى صارت عند طيرانها تغطى الشمس ، ووقع بعضها على بعض فى الأرض ذراعاً ، فأكلت النبات ، فصرخ أهل مصر ، فدعا موسى عليه السلام فأرسل تعالى ريحاً فاحتملت الجراد فألقته فى البحر ، فنظر أهل مصر إلى أن بقية من كَلَئِهم[٩١] وزرعهم تكفيهم ، فقالوا : هذا الذى بقى يكفينا ولا نؤمن بك ! .

فأرسل الله عليهم القُمَّل سَبْتاً إلى سَبْتٍ ، فلم يبق فى أرضهم عود أخضر إلا أكلته[٩٢] ، وسأل موسى عليه السلام ربه فأحرقتها ، واحتملتها الريح فألقتها فى البحر ، فلم يؤمنوا !.

---

(٩٠) حديد : سريع الغضب .

(٩١) الكلأ : العُشب .

(٩٢) القمل هنا معنى به صغار الجراد الذى لا أجنحة له ، كما فى تفسير ابن جرير (٥٤/١٣) ، والفخر الرازى (٣٧٧/٤) ، وابن كثير (٣٨٣/٢ - ٣٨٦) .

فأرسل الله عليهم الضفادع بعد ذلك ، فخرج من البحر مثل الليل الدامس ، ووقع فى الثياب والأطعمة والبيوت ، فكان الرجل منه يسقط على رأسه ذراع من الضفادع ، فصرخوا إلى موسى عليه السلام وحلفوا بإلٰهه لئن رفعت عنا هذا العذاب لنؤمنن بك ، فدعا الله تعالى فأمات الضفادع ، وأرسل عليها المطر فاحتملها إلى البحر .

ثم أظهروا الكفر ، فأرسل الله عليهم الدم ، فجرت أنهارهم دماً أحمر ، فكانوا لا يغترفون من مائهم إلا دماً أحمر ، حتى لقد ذُكِرَ أن عدو الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد – القبطى[٩٣] والإسرائيلى[٩٤]– فيكون ممايلى الإسرائيل ماءً وممايلى القبطى دماً ، فجعلوا لا يأكلون إلا الدم ، ولا يشربون إلا الدم ،.. وقيل : كان الرجل من بنى إسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون فى السفينة ، فيغترف الإسرائيلى ماءً ، ويغترف الفرعونى دماً ، فلم يقدروا على الماء العذب ، وبنو إسرائيل يجدون الماء العذب الطيب ، حتى بلغ منهم الجهد فصرخوا ، وركب فرعون وأشراف قومه إلى أنهار بنى إسرائيل فجعل يدخل الرجل منهم النهر فإذا اغترف صار فى يده دماً ، ومكثوا سبعة أيام فى ذلك لا يشربون إلا الدم ، وقال فرعون : ﴿ **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالِغُوه إذ هم ينكثون** ﴾[٩٥].

فهذا هو القول المَرْضِى عند أكثر علماء التفسير[٩٦]، والله أعلم .

وقد وقعت اختلافات فى تفسير بعض هذه الآيات :

فقيل عن **الطوفان** : هو الغرق ، والمطر الشديد ، أو هو الموت على كل حال .

وقيل عن **القُمَّل** : أنه هو السوس الذى يخرج من الحنطة ، وقيل : هو

---

(٩٣) أتباع فرعون .

(٩٤) أتباع موسى عليه السلام .

(٩٥) الأعراف : ١٣٤ – ١٣٥ .

(٩٦) الفخر الرازى (٣٧٧/٤ – ٣٧٨) ، ابن كثير (٣٨٣/٢ – ٣٨٦) ، الطبرى (٥٨/١٣) برقم (١٥٢٠) ، البحر المحيط (٣٧٣/٤) .

الدَّبَى وهو صغار الجراد الذى لا أجنحة له ، وقيل : هو البراغيث ، وقيل : هى دواب سود صغار ...، والشائع أنه القمل المعروف ، وقيل : إن موسى أُمِرَ أن يمشى إلى كثيب[٩٧] حتى يضربه بعصاه ، فمشى إلى كثيب أُهْيَل[٩٨] عظيم فضربه بها ؛ فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار ، وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم ، وحواجبهم ، ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم .

وقيل عن **الدم** : هو الرُّعاف ، والمشهور ما قَدَّمْناه ، والله أعلم بالصواب[٩٩].

مَثَل السفيه والحليم

فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – عن النبى – ﷺ – قال : « **ضافَ ضيفٌ رجلاً من بنى إسرائيل ، وفى داره كلبة مُجِحٌ**[١٠٠]**، فقالت الكلبة ، واللهِ لا أنبح ضيف أهلى ، قال : فعوى جراؤها فى بطنها ، قال قيل : ماهذا ؟! .**

قال : فأوحى الله عز وجل إلى رجل منهم : هذا مثل أُمَّة تكون من بعدكم يقهر سفاؤها أحلامها »[١٠١].

---

(٩٧) تَلّ .
(٩٨) الأَهْيَلُ من الرمال ونحوها : ما يَتَهَيَّل فى تتَابُع .
(٩٩) تفسير ابن كثير (٣٨٦/٢) ، ابن جرير (٥٤/١٣) فما بعدها .
(١٠٠) أجَحَّت الكلبة فهى مُجِحٌّ : حملت وعَظُمَ بطنها ، وقيل : حملت فأثقلت .
(١٠١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١٧٠/٢) .

الرفق بالحيوان فى الإسلام

□ سقى كلباً فغفر الله له :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، إذا كلب يلهث**(١٠٢) **يأكل الثَّرَىٰ**(١٠٣)**، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، نزل البئر فملأ خُفَّه ماءً ، ثم أمسكه بفيه**(١٠٤) **حتى رَقِىَ**(١٠٥)**، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، وغفر له** » .

قالوا : يارسول الله ، وإن لنا فى البهائم أجراً ؟، فقال : « **فى كل كبد رطبة أجرة** »(١٠٦).

□ بغى من بغايا بنى إسرائيل :

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **بينما كلب يطيف بِرَكِيَّة**(١٠٧) **قد كاد يقتله العطش إذ رأته بَغِىٌّ**(١٠٨) **من بغايا بنى إسرائيل ، فنزعت مُوقَهَا**(١٠٩) **فاستقت له به ، فَسَقَتْهُ فغُفِر لها به** »(١١٠).

---

(١٠٢) يلهث : يخرج لسانه من شدة العطش .
(١٠٣) يأكل التراب المبلل بالماء .
(١٠٤) بفمه . (١٠٥) صعد .
(١٠٦) رواه البخارى (٢٣٦٣) ، ومسلم [السلام (١٥٣)] ، وأبو داود (٢٥٥٠) ، ومالك فى الموطأ [صفة النبى (٢٣)] ، وأحمد (٣٧٥/٢ ، ٥١٧) ، وابن حبان (٥٤٥) .
(١٠٧) بئر . (١٠٨) زانية . (١٠٩) الموق : الخُفُّ .
(١١٠) رواه البخارى (٣٤٦٧) ، ومسلم [السلام (١٥٤ – ١٥٥)] ، وأحمد (٥٠٧/٢) .

□ دخلت امرأةٌ النارَ في هِرَّة :

عن أسماء بنت أبي بكر – رضى الله عنهما – أن النبى – ﷺ – صلى صلاة الكسوف ، فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ، ثم رفع فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ، ثم رفع . ثم سجد فأطال السجود : ثم رفع . ثم سجد فأطال السجود . ثم رفع فقام فأطال القيام . ثم ركع فأطال الركوع . ثم رفع فقام فأطال القيام . ثم ركع فأطال الركوع ، ثم رفع ، ثم سجد فأطال السجود . ثم رفع . ثم سجد فأطال السجود ، ثم انصرف فقال : **« لقد دنت منى الجنة حتى لو اجترأتُ عليها لجئتكم بقطاف من قطافها . ودنت منى النار حتى قلت : أى رب ! وأنا فيهم »** .

قال الراوى : حسبت أنه قال : **« ورأيت امرأة تخدشها هرة لها . فقلت : ماشأن هذه ؟، قالوا : حبستها حتى مات جوعاً ، لا هى أطعمتها ولا هى أرسلتها تأكل من خشاش الأرض »**[111].

وفى رواية : **« دخلت امرأة النار فى هرة »**[112].

وفى أخرى : **« عُذِّبت امرأة فى هرة »**[113]..

---

(111) أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٣٦٤) مختصراً ، وأحمد فى المسند (٦/٣٥٠ ٣٥١) ، وابن ماجه (١٢٦٥) .

(112) البخارى (٣٣١٨) ، ومسلم [سلام (١٥١)] ، وابن ماجه (٤٢٥٦) ، والدارمى (٢٨١٤) عن ابن عمر .

ومسلم [فى السلام (١٥١)] ، وأحمد (٢/٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٣١٧ ، ٤٥٧ ، ٤٦٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٧) عن أبى هريرة .

(113) البخارى (٣٤٨٢) عن ابن عمر ، ومسلم [سلام (١٥٢)] ، أحمد (٢/٢٨٦ ، ٤٢٤ ، ٥٠١ ، ٥١٩) عن أبى هريرة ، وأحمد (٣/٣٣٥) عن جابر .

ثلاثة حيوانات من بلاط الملك النبى

- النملة مع سليمان النبى عليه السلام .
- الهدهد .
- دابة الأرض .

النَّمْلَةُ والمَلِك

﴿ وحُشِرَ لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ۞ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحْطِمَنَّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ۞ فَتَبَسَّمَ ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلىٰ والدىَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾[114].

ركب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى أبهة وعظمة كبيرة فى الإنس ، وكانوا هم الذين يلونه ، والجن وهم بعدهم فى المنزلة ، والطير ومنزلتها فوق رأسه ، فإن كان حَرٌّ أَظَلَّته منه بأجنحتها ، وقوله : **﴿ فهم يوزعون ﴾** أى يَكُف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التى هى مرتبة له ، قال مجاهد : جعل على كل صنف وزعة[115] يَرُدُّون أُولاها على أُخرَاها لئلا يتقدموا فى المسير كما يفعل الملوك اليوم .

حتى إذا مَرّ سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادى النمل **﴿ قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾** ، خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها ، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ، ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها ، **﴿ فتبسم ضاحكاً من قولها**[116] **وقال ربِّ أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علّى وعلى والدّى وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾** أى ألهمنى أن أشكر نعمتك التى مننت بها علىَّ من تعليمى منطق الطير والحيوان ، على والدىَّ بالإسلام

---

(١١٤) النمل : ١٧ - ١٩ .

(١١٥) الوازع : الحابس العسكر المُوَكَّل بالصفوف يتقدم الصف فيُصلحه ويُقَدِّم ويؤخر ، والجمع وَزَعَة ووُزَّاع .

(١١٦) أى أن سليمان عليه السلام فَهِمَ ما خاطبت به تلك النملة لأمتها ، من الرأى السديد والأمر الحميد ، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره .

لك والإيمان بك ﴿ **وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾ أي إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال : خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقى ، فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهى تقول : **اللهم إنّا خلق من خلقك ، ولا غنى بنا على سقياك ، وإلا تسقنا تهلكنا ..**، فقال سليمان : **ارجعوا فقد سُقيتم بدعوة غيركم**[117].

الهُدْهُد (رسول الملك النبي)

﴿ **وتَفَقَّد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لَأُعَذِّبَنَّه عذاباً شديداً أو لأَذْبَحَنّه أو لَيَأْتِيَنِّي بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أَحَطْتُ بما لم تُحِط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتِيَت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزَيَّن لهم الشيطان أعمالهم فَصَدَّهم عن السبيل فهم لا يهتدون * أَلَّا يسجدوا لله الذى يُخرِج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تُخفون وما تُعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أَصَدَقْتَ أم كنتَ من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهِ إليهم ثم تَوَلَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يأيها الملأُ إني أُلْقِيَ إلىّ كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * أَلَّا تعلوا عَلَيَّ وَأْتُوني مسلمين** ﴾[118].

قال مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله بن عباس وغيره : كان الهدهد مهندساً يدل سليمان عليه السلام على الماء ، إذا كان بأرض فلاة[119] طلبه

(١١٧) تفسير ابن كثير (٣/٥٧٣ - ٥٧٤) ، البداية والنهاية (٣/٥٧٣ - ٥٧٤) ، البداية والنهاية (٢/١٩ - ٢٠) .

(١١٨) النمل : ٢٠ - ٣١ (١١٩) الفلاة : الصحراء .

فنظر له الماء فى تخوم الأرض ، كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ، ويعرف كم مسافة بُعْده من وجه الأرض ، فإذا دَلَّهُم عليه أمر سليمان عليه السلام الجانَ فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره .

فنزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الأرض فَتَفَقَّدَ الطير ليرى الهدهد فلم يره ﴿ **فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين** ﴾ ، أخطأه بصرى من الطير أم غاب فلم يحضر ؟ ، قال : ﴿ **لأُعَذِّبَنَّه عذاباً شديدا** ﴾ قال ابن عباس : يعنى نَتْف ريشه .. وقال عبد الله بن شداد : نَتْف ريشه وتشميسه ...، وقال غير واحد من السلف : نتف ريشه وتركه مُلْقَى يأكله الذر والنمل ﴿ **أو لَأَذْبَحَنَّه أو ليأتينى بسلطان مبين** ﴾ أى بعُذر واضح بَيِّن ، ﴿ **فمكث غير بعيد** ﴾ أى غاب زماناً يسيراً ، ثم جاء فقال لسليمان : ﴿ **أحطت بما لم تحط به** ﴾ أى اطَّلَعْت على ما لم تَطَّلِع عليه أنت ولا جنودك ﴿ **وجئتك من سبأ بنبأ يقين** ﴾ بخبر صادق حق ﴿ **إنى وجدت أمرأة تملكهم** ﴾ قال المفسرون : هى بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ .

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قَيْل[١٢٠]، تحت كل قَيْل مائة ألق مقاتل .

وأخرج عبد الرزاق عن قتادة قال : كانت من بيت مملكة ، وكان أول مشورتها ثلثمائة واثنى عشر رجلا ، كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل ، وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء .

قال : ﴿ **وأُوتِيَت من كل شىء** ﴾ من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن ﴿ **ولها عرش عظيم** ﴾ يعنى سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر والآلىء ، ﴿ **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزَيَّن لهم الشيطان أعمالهم فَصَدَّهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذى يُخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تُخفون وما تُعلنون** ﴾ ، يعلنها الهدهد صريحة ، يُعلن توحيده لله رب العالمين ، وحده لا شريك له ، الأحق بالتوحيد والعبادة ، ولما كان الهدهد داعياً إلى الخير

---

(١٢٠) القَيْل : الملك من ملوك حِمْيَر .

وعبادة الله وحده والسجود له نهى - ﷺ - عن قتله ، كما فى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : نهى النبى - ﷺ - عن قتل أربع من الدواب : « **النملة ، والنحلة ، والهدهد ، والصُّرَد**[121] »[122].

ثم كتب سليمان عليه السلام كتاباً إلى بلقيس وقومها ، وأعطاه ذلك الهده فحمله ، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلوة التى كانت تختلى فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها ، ثم تولَّى ناحيةً أدباً ورياسة ، فَتَحَيَّرَت مما رأت وهالها ذلك ، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته ، فإذا فيه ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم * ألَّا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين** ﴾ ثم جمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها ، واستَشَارَتْهُم فى أمرها وما قد نزل بها ، كما قال تعالى : ﴿ **قالت يٰأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدون** ﴾[123]. أى حتى تحضرون وتشيرون ﴿ **قالوا نحن أوْلُواْ بأس شديد** ﴾[124]. مَنُّوا إليها بعَدَدِهم وعِدَدِهم وقوتهم ، ثم فَوَّضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا : ﴿ **والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين** ﴾[125]. أى نحن ليس لنا عاقة ولا بنا بأس إن شئتِ أن تقصديه وتحاربيه ، فما لنا عاقة عنه ، وبعد هذا فالأمر إليك ، مُرِى فينا رأيك نمتثله ونطيعه .

وبقية أمرها فى محكم التنزيل فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون * وإنى مُرْسِلِه إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون * فلما جاء سليمان قال أتمدونى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون * ارجع إليهم فلَنَأْتِيَنَّهُم بجنود لا قِبَلَ لهم بها ولَنُخْرِجَنَّهُم منها أذلة وهم صاغرون * قال**

(١٢١) الصرد : طائر ضخم الرأس أبيض البطن أخضر الظهر يصطاد صغار الطير ونهى - ﷺ - عن قتله لأن العرب كانت تتشاءم من صوته وشخصه ؛ رداً للطِّيَرَة .

(١٢٢) صحيح ، أخرجه أحمد فى المسند (١/٣٣٢ ، ٣٤٧) ، وابن ماجه (٣٢٢٤) ، وابن حبان (٥٦١٧) ، وأبو داود (٥٢٦٧) عن ابن عباس ، وأخرجه الدارمى (١٩٩٩) وابن ماجه (٣٢٢٣) عن أبى هريرة ، وصححه البيهقى وابن كثير فى تفسيره (٣/٥٧٧) .

(١٢٣) النمل : ٣٢ .. (١٢٤) النمل : ٣٣ . (١٢٥) النمل : ٣٣ .

يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين * قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومَن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم * قال نكِّرُوا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين * وصَدَّهَا ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين * قيل لها أدخلى الصَّرْحَ فلما رَأَتْهُ حسبته لُجَّة وكشفت عن سَاقَيْها قال إنه صرح مُمَرَّد من قوارير قالت رَبِّ إنى ظلمتُ نفسى وأسلمتُ مع سليمانَ لله رب العالمين ﴾[١٢٦].

دابــة الأرض

قال تعالى : ﴿ ومن الجن مَن يعمل بين يديه بإذن ربه ومَن يَزِغْ منهم عن أمْرِنا نُذِقْهُ من عذاب السعير * يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوُد شكراً وقليل من عبادى الشكور * فلما قضينا عليه الموت ما دَلَّهُم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرَّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين ﴾[١٢٧].

يخبر المولى تبارك وتعالى أنه سَخَّر الجن لسليمان عليه السلام يعملون بين يديه – بإذن الله وقدرته ومشيئته – مايشاء من البنايات وغير ذلك ..، ومَن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة يُذِقْهُ الله تبارك وتعالى من عذاب السعير .

ثم ذَكَرَ الله تبارك وتعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عمى

---

(١٢٦) النمل : ٣٤ – ٤٤٣ ...، انظر فى تفسيرها : البداية والنهاية (٢/٢٠ – ٢٤) ، تفسير ابن كثير (٥٧٤/٣ – ٥٧٨) .

(١٢٧) سبأ : ١٢ – ١٤ .

الله موته على الجان المسخرين له فى الأعمال الشاقة ، فإنه مكث متوكئاً على عصاه – وهى منسأته – (كما قال ابن عباس – رضى الله عنهما – ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد) مدة طويلة نحواً من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض وهى الأرضة ضعفت العصا وسقط إلى الأرض عليه السلام ، عندها علمت الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس بذلك .

وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى وتعالى : ﴿ **ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته** ﴾ قال : قال سليمان عليه السلام لملك الموت : إذا أُمِرْتَ بى[128] فَأَعْلِمْنى ، فأتاه فقال : ياسليمان قد أُمِرْتُ بك ، قد بَقِيَتْ لك سويعة ، فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير وليس له باب ، فقام يصلى فَاتَّكَأَ على عصاه ، قال : دخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو مُتَّكِئٌ على عصاه ، ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال : والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حى ، قال : فبعث الله عز وجل دابة الأرض – قال : والدابة تأكل العيدان ويقال لها : القادح –، فدخلت فيها فأكلتها ، حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فَخَرَّ ميتا ، فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ **مادَلَّهُم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته** ﴾ .

قال أصبغ : بلغنى عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يَخِرَّ .

وذكر غير واحد من السلف نحواً من هذا ، والله أعلم[129].

---

(١٢٨) أى إذا أُمِرْتَ بقبض روحى .

(١٢٩) تفسير ابن كثير (٣/٨٤٢ – ٨٤٤) ، البداية والنهاية (٢/٣٠ – ٣٢) .

فى طريق الهجرة

- عنكبوت الغار .
- فرس سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى .
- شاة أم معبد .

عنكبوت الغار

بعد أن اتَّخَذَ كفار مكة قرارهم بقتل النبى - ﷺ - نزل إليه جبريل بوحى ربه تبارك وتعالى فأخبره بمؤامرة قريش ، وأن الله أذن له فى الخروج ، وحَدَّدَ له وقت الهجرة قائلاً : **لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه**(١٣٠).

☐ موعد المؤامرة :

وقد كان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل ، فباتوا متيقظين ينتظرون ساعة الصفر ، ولكن الله غالب على أمره ، بيده ملكوت السماوات والأرض ، يفعل ما يشاء ، وهو يجير ولا يُجار عليه ، فقد فعل ما خاطب به الرسول - ﷺ - فيما بعد : **﴿ وإذا يمكر بمكر الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾**(١٣١)..

☐ الرسول - ﷺ - يغادر بيته :

مع غاية استعداد قريش لتنفيذ خطتهم فقد فشلوا فشلاً فاحشاً .. فى هذه الساعة الحرجة قال رسول الله - ﷺ - لعلىِّ بن أبى طالب - رضى الله عنه - : « **نَمْ على فراشى ، وتَسَجَّ ببردى هذا الحضرمى الأخضر ، فنم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم** » ، وكان رسول الله - ﷺ - ينام فى برده ذلك إذا نام(١٣٢).

ثم خرج رسول الله - ﷺ - واخترق صفوفهم ، وأخذ حفنة من

(١٣٠) الرحيق المختوم (١٩١) ، ومصادره : سيرة ابن هشام (٤٨٢/١) ، زاد المعاد (٥٢/٢) .
(١٣١) الأنفال : ٣٠ .
(١٣٢) الرحيق المختوم (١٩٣) ، وأحال إلى سيرة ابن هشام (٤٨٢/١ - ٤٨٣) .

البطحاء فجعل يذره على رءوسهم ، وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه ، وهو يتلو : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾[١٣٣]. فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ومضى إلى بيت أبى بكر فخرجا من خوخة فى دار أبى بكر ليلاً حتى لحقا بغار ثور فى اتجاه اليمن[١٣٤].

وبقى المُحَاصِرُون ينتظرون حلول ساعة الصفر ، وقبيل حلولها تجلت لهم الخيبة والفشل ، فقد جاءهم رجل ممن لم يكن معهم ، ورآهم بابه فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمداً .. ، قال : خِبْتُم وخسرتم !، قد والله مَرَّ بكم ، وذَرَّ على رءوسكم التراب ، وانطلق لحاجته ، قالوا : والله ما أبصرناه ، وقامُوا ينفضون التراب عن رءوسهم .

ولكنهم تطلعوا من صير[١٣٥] الباب فرأوا عَلِيّاً ، فقالوا : والله إن هذا لمحمد نائماً ، عليه بُرْدُه ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا . وقام علىٌّ عن الفراش ، فسقط فى أيديهم ، وسألوه عن رسول الله - ﷺ - فقال : لا علم لى به[١٣٦].

□ من الدار إلى الغار :

غادر النبى - ﷺ - بيته وأتى إلى دار رفيقه وآمَن الناس عليه فى صحبته وماله أبى بكر - رضى الله عنه - ثم غادرا منزل الأخير من باب خلفى ، ليخرجا من مكة على عجل ، وقبل أن يطلع الفجر .

ولما كان النبى - ﷺ - يعلم أن قريشاً ستَجِدُّ فى الطلب ، وأن الطريق الذى ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسى المتجه شمالاً ، فقد سلك الطريق الذى يضاده تماماً ، وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن ، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال ، حتى بلغ إلى جبل يعرف

---

(١٣٣) يسٓ : ٩ .
(١٣٤) المصادر السابقة ، زاد المعاد (٢/٥٢) .
(١٣٥) الصِّير : شق الباب . (١٣٦) المصادر السابقة .

بجبل ثور ، وهذا جبل شامخ ، وعر الطريق ، صعب المُرْتَقَى ، ذا أحجار كثيرة ، حتى انتهيا إلى غار فى قمة الجبل عُرف فى التاريخ بغار ثور .

وكَمِنَا فى الغار ثلاث ليال : ليلة الجمعة ، وليلة السبت ، وليلة الأحد[١٣٧]، وكان عبد الله بن أبى بكر يبيت عندهما ، قالت عائشة : وهو غلام ثقف[١٣٨] لقن[١٣٩]، فيدلج[١٤٠] من عندهما بِسَحَرٍ ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمراً يكتادان به[١٤١] إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة[١٤٢] من غنم ، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل[١٤٣]– وهو لبن منحتهما ورضفيهما[١٤٤]– حتى ينعق[١٤٥] بهما عامر ابن فهيرة بغلس[١٤٦]، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث[١٤٧].

وكان عامر بن فهيرة يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبى بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفى[١٤٨] عليه[١٤٩].

أما قريش فقد جَنّ جنونها حينما تأَكّد لديها إفلات رسول الله – ﷺ – صباح ليلة تنفيذ المؤامرة .

وقررت قريش فى جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التى يمكن بها القبض على الرجلين ، فوضعت جميع الطرق النافذة من مكة (فى

---

(١٣٧) انظر فتح البارى (٢٧٨/٧ – ٢٧٩) .
(١٣٨) ثَقِف : حَاذِق (ماهر) .
(١٣٩) لَقِن : سريع الفهم .
(١٤٠) أى يخرج عند السَّحَر .
(١٤١) أى يُطْلَب لهما فيه المكره .
(١٤٢) المنحة والمنيحة : الشاة أو الناقة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك .
(١٤٣) الرِّسل : اللبن الطرى .
(١٤٤) أى اللبن المرضوف وهو الذى وُضِعَت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته .
(١٤٥) النعيق : صوت الراعى إذا زجر غنمه وصاح عليها .
(١٤٦) الغَلَس : ظلامُ آخِر الليل .
(١٤٧) رواه البخارى (٣٩٠٥) .
(١٤٨) يمحوه .
(١٤٩) ابن هشام (٤٨٦/١) ، الرحيق المختوم (١٩٥) .

جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة ، كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين ، كائناً مَن كان[١٥٠].

وحينئذ جَدَّت الفرسان والمشاة وقُصَّاص الأثر فى الطلب ، وانتشروا فى الجبال والوديان ، والوهاد والهضاب ، ولكن من دون جدوى وبغير فائدة .

□ المشركون على باب الغار :

وصل المُطَارِدُون إلى باب الغار ، ولكن الله غالب على أمره ، روى البخارى عن أنس عن أبى بكر – رضى الله عنه – قال : كنت مع النبى – ﷺ – فى الغار فرفعت رأسى ، فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يانبى الله أو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال : « **أسكت يا أبابكر ، اثنان الله ثالثهما** »[١٥١]..

وفى لفظ : « **ماظنك يا أبابكر باثنين الله ثالثهما** »[١٥٢].

□ العنكبوت جند من جنود الله فى الهجرة :

عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – فى قوله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك** ﴾[١٥٣]. قال : تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم : إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق – يريدون النبى – ﷺ –، وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك ، فبات علىٌّ عَلىٰ فراش النبى – ﷺ – تلك الليلة ، وخرج النبى – ﷺ – حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً ، يحسبونه النبى – ﷺ –، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا علياً رد الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك ؟، قال : لا أدرى ، فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل خُلِّط عليهم فصعدوا فى الجبل فَمَرُّوا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو

(١٥٠) أنظر فتح البارى (٧/٢٨٣) .

(١٥١) رواه البخارى (٣٩٢٢) ، وأحمد (٥/٢٨٩) .

(١٥٢) رواه البخارى (٤٦٦٣) ، وأحمد (١/٤) .

(١٥٣) الأنفال : ٣٠ .

دخل هٰهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث - ﷺ - فيه ثلاث ليال[١٥٤].

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه - ﷺ -، فقد رجع المُطَارِدُون حين لم يبق بينه وبينهم إلا خطوات معدودة .

☐ في الطريق إلى المدينة :

وحين خمدت نار الطلب ، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش ، وهدأت ثائرات قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام بدون جدوى ، تهيأ رسول الله - ﷺ - وصاحبه للخروج إلى المدينة .

فرس سراقة بن مالك

وتبعهما فى الطريق سراقة بن مالك بن جعشم ..، قال سراقة : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله - ﷺ - وفى أبى بكر - رضى الله عنه - دية كل واحد منهما[١٥٥] لمن قتلهما أو أسرهما ، فبينا أنا جالس فى جلس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا فقال : ياسراقة ! إنى رأيت آنفاً أسوِدة[١٥٦] بالساحل ، إنى أراها محمداً وأصحابه .

قال سراقة : فعرفت أنهم هم ..، فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنى رأيت فلاناً وفلاناً انطلق آنفا ...، قال : ثم لبثت فى المجلس ساعة حتى قمت فدخلت بيتى فأمرت جاريتى أن تُخْرج لى فرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها علىَّ ، وأخذتُ رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت برمحى الأرض وخفضت عالية الرمح[١٥٧]، حتى تيت فرسى فركبتها ، فرفعتها[١٥٨] تقرب بى ، حتى

---

(١٥٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٣٤٨/١) .

(١٥٥) أى مائة من الإبل . (١٥٦) أى أشخاصاً .

(١٥٧) أى أمسكه بيده وجَرّه لأسفل لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه ، لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه فى الجائزة .

(١٥٨) أى أسرعتُ بها السير .

رأيت أسودتهما ، فلما دنوت منهم حيث يسمعهم الصوت عثرت بى فرسى ، فخررت عنها[١٥٩]، فقمت فأهويت بيدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمتُ بها : أضُرّهم أم لا ؟، فخرج الذى أكره أن لا أضرهم ، فركبت فرسى وعصيت الأزلام ، فرفعتها تقرب بى حتى إذا دنوت منهم عثرت بى فرسى فخررت عنها ، فقمت ، فأهويت بيدى إلى كنانتى فأخرجت الأزلام فاستقسمت بها ، فخرج الذى أكره أن لا أضرهم ، فعصيت الأزلام ، وركبت فرسى ، فرفعتها تقرب بى حتى إذا سمعت قراءة النبى – ﷺ – وهو لا يلتفت ، وأبو بكر – رضى الله عنه – يكثر الالتفات – ساخت[١٦٠] يدا فرسى فى الأرض حتى بلغت الركبتين .

(وفى رواية : فساخ فرسه فى الأرض إلى بطنه .

وفى أخرى : فدعا عليه النبى – ﷺ – فساخت به فرسه) .

قال سراقة : فخررت عنها فزجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، قال : فناديتهما بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جئتهم فوقع فى نفس حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أنه سيظهر أمر رسول الله – ﷺ – فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم من أخبار سفرهم وما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى[١٦١] شيئاً ، ولم يسألأنى إلا أن قال : اخْفِ عنا ، فسألته أن يكتب لى كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم ، ثم مضى رسول الله – ﷺ –[١٦٢].

---

(١٥٩) أى سقطتُ من عليها .

(١٦٠) ساخت : غاصت .

(١٦١) أى لم ينقصان مما معى شيئاً .

(١٦٢) صحيح البخارى (٣٩٠٦) ، صحيح مسلم [كتاب الزهد (٧٥) ، الأشربة (٩١)] ، مسند الإمام أحمد (٣/١) ، (١٧٦/٤٠ ، ٢٨١) ، وانظر زاد المعاد (٥٣/٢) ، فتح البارى (٢٨١/٧ – ٢٨٦) ، دلائل النبوة للبيهقى (٤٨٣/٢ – ٤٩٠) .

شاة أم معبد الخزاعية

وفى طريقه – ﷺ – من مكة إلى المدينة مَرّ ومَن معه على خَيْمَتَى أم معبد الخزاعية ، وكانت برزة[١٦٣] جَلْدَة[١٦٤] تحتبى[١٦٥]، فسألوها لحماً وتَمْرَاً ليشتروه منها ، فلما لم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك – وكان القوم مُرْمِلِين[١٦٧] مُسْنِتِين[١٦٩] أو مُشْتِين[١٧٠]–، فقالت : واللهِ لو كان عندنا شىء ما أعوزناكم نَحْرَها – وفى رواية : ما أعوزناكم القِرَى –.

فنظر رسول الله – ﷺ – إلى شاة فى كِسْر الخيمة[١٧١] فقال – ﷺ – : « **ماهذه الشاة يأم معبد ؟** ».. ، فقالت : شاة خَلَّفَهَا الجهد عن الغنم ، قال : « **أبها من لبن** » – وفى رواية : « **هل بها من لبن ؟** »، قالت : هى أَجْهَدُ من ذلك[١٧٢].. ، قال : « **أتأذنين لى أن أحلبها ؟** » ، قالت : بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها ! .

فدعا بها رسول الله – ﷺ – فمسح بيده ضرعها وسَمَّى الله تعالى ، ودعا لها فى شاتها ، فَتَفَاجَّت عليه[١٧٣] ودَرَّت واجْتَرَّت[١٧٤]، فدعا بإناء

---

(١٦٣) البرزة من النساء : الكهلة التى لا تحتجب احتجاب الشواب ، وهى مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم .

(١٦٤) قوية .

(١٦٥) الاحتباء : أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها ، والاحتباء يمنع من السقوط فهو كالجدار يستندُ به .

(١٦٦) القبة : الخيمة (١٦٧) تسقى وتطعم الناس .

(١٦٨) يقال : أَرْمَل القوم : أى نفد زادهم .

(١٦٩) قوله : «مسنتين» يعنى داخلين فى السَّنة وهى الجدب والمجاعة والقحط .

(١٧٠) يريد داخلين فى الشتاء .

(١٧١) كِسْر : جانب . (١٧٢) أى أَضْعَف من ذلك .

(١٧٣) التَّفَاجُّ : المبالغة فى تفريج ما بين الرِّجْلَيْن ، والمعنى أنها فتحت ما بين رجليها للحلب .

(١٧٤) الجِرَّة : مايخرجه البعير من بطنه يمضغه ثم يبلعه .

يُرْبِض[١٧٥]– وفى رواية : يريض[١٧٦]– الرَّهْط[١٧٧]، فحلب فيه ثَجًّا[١٧٨] حتى علاه البهاء[١٧٩]، وأرسله إليها – أى إلى أم معبد – فسقاها حتى رَوِيَت ، وسقى أصحابه فشربوا عَلَلاً بعد نَهَلٍ[١٨١]، حتى إذا رَوَوْا شَرِبَ – ﷺ – آخرهم وقال : « **ساقى القوم آخرهم** » ، فشربوا حتى أراضوا[١٨٢].

ثم حلب فيه ثانياً عَوْدَاً على بدء[١٨٣] حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، ثم بايعها ، وارتحل عنها[١٨٤].

---

(١٧٥) أى : يسع القوم ويرويهم .

(١٧٦) أى : يرويهم بعض الرِّى .

(١٧٧) الرهط : ما بين الثلاثة إلى العشرة (وهذا هو المشهور) .

(١٧٨) الثَّجُّ : الصب الكثير .

(١٧٩) أى علا الإناء بهاء اللبن ، يريد أنه ملأ الإناء .

(١٨٠) العَلَل : الشربة الثانية ، وقيل : الشرب بعد الشرب تباعا .

(١٨١) النَّهَل : أوَّل الشُّرب .

(١٨٢) أى شربوا حتى رَوَوْا فَنَقِعُوا بالرِّىّ .

(١٨٣) العود : ثانى البَدْءِ .

(١٨٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٢٧٦/١ – ٢٨٠) ، وابن كثير فى البداية والنهاية (١٩٢/٣ – ١٩٤) ، (٣٤/٦ – ٣٦) ، وأبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ١١٧) ؛ وابن سعد فى طبقاته (٢٢٨/١ – ٢٠٣) ، وابن عبد البر فى الاستيعاب (٧٩٦/٢ – ٧٩٧) ، والذهبى فى تاريخ الإسلام (٢٢٧/٢) ، عيون الأثر (٢٢٧/١) ، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٣٢٦/١) ، سيرة ابن هشام (٣٠٨/٢) ، الروض الأنف (٧/٢ – ٨) ، وزاد المعاد (٥٣/٢ – ٥٤) ، الرحيق المختوم (٢٠٠ – ٢٠١) ، وابن أبى الدنيا فى الهواتف (٧٣) مختصراً ، والإصابة (٤٩٧/٤ – ٤٩٨) ومواضع أخرى ، وفى مجمع الزوائد (٥٨/٦) قال الهيثمى : رواه الطبرانى وفى إسناده جماعة لم أعرفهم ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٩/٣ – ١٠) وصححه وتعقبه الذهبى عليه .

وفى تعليق الألبانى على فقه السيرة لمحمد الغزالى (ص ١٩٧) قال : الحديث بهذه الطرق لا ينزل عن رتبة الحسن .

وانظر كتابى « وصف النبى وكأنك تراه » (٨٩ – ٩٢) وكتابى الآخر « شرح ثلاث أحاديث فى وصف النبى ﷺ » (٩ – ٢١) فقد ذكرته هناك بتمامه مشروحا ، والحمد لله .

مع الوحوش والذئاب

- قصة الذئب وشهادته برسالة النبى - ﷺ -.
- الذئب يقول : مَن لها يوم السبع ؟ .
- قصة الوحش مع رسول الله - ﷺ -.
- قصة الأسد مع سفينة مولى رسول الله - ﷺ -.

قصة الذئب وشهادته برسالة النبى - ﷺ -

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعى فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذَنَبِه فقال : ألا تتقى الله ؟ تنزع منى رِزْقَاً ساقه الله إلىّ ؟...، فقال : ياعجبى ذئب يكلمنى كلام الإنس !!، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد - ﷺ - بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله - ﷺ - فأخبره ، فأمر رسول الله - ﷺ - فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعى : **« أَخْبِرْهُم »** ، فَأَخْبَرَهُم ..، فقال رسول الله - ﷺ - : **« صَدَق ، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يُكَلِّم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة[١٨٥] سَوطه ، وشِرَاك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده »**[١٨٦].

وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : **« بينا أعرابى فى بعض نواحى المدينة فى غنم له ، عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه ، فأدركه الأعرابى فاستنقذها منه وهَجْهَجَه[١٨٧]، فعانده الذئب ، فمشى ثم أقعى مستذفراً[١٨٨] بِذَنَبِه يخاطبه ، فقال : أخذتَ رزقاً رزقنيه الله ؟!!...، فقال : واعجبا من ذئب مستذفر بذنبه يخاطبنى !!، فقال الذئب : والله إنك لتترك أعجب من ذلك ، قال :**

---

(١٨٥) العذبة : طرف كل شىء .

(١٨٦) أخرجه أحمد فى المسند (٣/٨٣ - ٨٤) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٦/٤١ - ٤٢) ، وابن كثير فى البداية والنهاية (٦/١٦٣ - ١٦٤) وقال : صححه البيهقى ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك مختصراً (د/٤٦٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وأبو نعيم فى دلائل النبوة (٢٧٠) ، انظر مجمع الزوائد (٨/٢٩١) .

(١٨٧) أى صاح به وزَدَّة وزجره .

(١٨٨) استذفر بالأمر : اشتد عزمه عليه وصَلُبَ له .

وما أعجب من ذلك ؟!، قال : رسول الله - ﷺ - فى النخلتين بين الحرتين يُحَدِّث الناس عن أنباء ما سبق وما يكون بعد ذلك ، قال : فنعق الأعرابى بغنمه حتى ألجأها إلى بعض المدينة ، ثم مشى إلى النبى - ﷺ - حتى ضرب عليه بابه ، فلما صلى النبى - ﷺ - قال :أين الأعرابى صاحب الغنم ؟ فقام الأعرابى ، فقال له النبى - ﷺ - : حدث الناس بما سمعت وبما رأيت، فَحَدَّث الأعرابى الناس بما رأى من الذئب ، وما سمع منه ، فقال النبى - ﷺ - عند ذلك : صدق ، آيات تكون قبل الساعة ، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدثه أهله بعده »[١٨٩]..

□ حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - فى ذلك :

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : جاء ذئب إلى راعى غنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعى حتى انتزعها منه ، قال : فصعد الذئب على تَلٍّ فأقعى واستذفر ، فقال : عمدتَ إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته منى ؟!!، فقال الرجل : بالله إن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم !!، فقال الذئب : أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرَّتين يخبركم بما مضى وماهو كائن بعدكم ، وكان الرجل يهودياً فجاء إلى النبى - ﷺ - فأسلم وخَبَّره فَصَدَّقه النبى - ﷺ -، ثم قال رسول الله : « **إنها أمارة من أمارات بين يدى الساعة ، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تُحَدِّثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله بعده** »[١٩٠]..

---

(١٨٩) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٣/٨٨ - ٨٩) ، وابن كثير (٦/١٦٤) ، والحاكم فى المستدرك (٤/٤٦٧ - ٤٦٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل (٦/٤٢ - ٤٣) ،والسيوطى فى الخصائص الكبرى (٢/٦١) .

(١٩٠) أخرجه أحمد فى مسنده (٢/٣٠٦) ، قال ابن كثير فى البداية (٦/١٦٥) تفرد به أحمد وهو على شرط السنن ولم يخرجوه . وفى مجمع الزوائد (٨/٢٩٢) قال : هو فى الصحيح باختصار ورواه أحمد ورجاله ثقات .

الذئب يقول : مَن لها يوم السبع ؟

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « **بينا راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعى حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال له : مَن لها يوم السبع**[١٩١]**، يوم ليس لها راعٍ غيرى ؟** ».. فقال الناس : سبحان الله !!، فقال رسول الله – ﷺ – : « **فإنى أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر** »[١٩٢]..

قصة الوَحش الذى كان يقبل ويُدْبِر فإذا أَحَسَّ برسول الله – ﷺ – رَبض فلم يترمرم[١٩٣]

عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – قالت : كان لأهل رسول الله – ﷺ – وحش ، فإذا خرج رسول الله – ﷺ – أَقْبَلَ وأَدْبر ، فإذا أَحَسّ برسول الله – ﷺ – ربض فلم يترمرم .

وفى رواية عنها قالت – رضى الله عنها – : فإذا خرج رسول الله – ﷺ – لعب وذهب وجاء ، فإذا جاء رسول الله – ﷺ – ربض فلم يترمرم مادام رسول الله – ﷺ – فى البيت[١٩٤].

---

(١٩١) أى يوم الفزع وهو يوم القيامة ، وقيل أى : مَن لها يوم يهملها أصحابها لعظيم ماهم فيه من الكرب والفزع إما بما يحدث من فتنة ، أو يريد به يوم الصيحة والرجف ووضع الحوامل وذهول المراضع .

(١٩٢) رواه البخارى فى صحيحه (٣٤٧١) ، ومسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة برقم (١٣) ، وأحمد (٢/٢٤٦ ، ٣٨٢) والترمذى (٣٦٩٥) ، وابن حبان (٦٤٥١) .

(١٩٣) أى سكن ولم يتحرك ولم يتكلم .

(١٩٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٦/١١٣ ، ١٥٠) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٦/٣١) ، وفى مجمع الزوائد (٩/٣ – ٤) قال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط ورجال =

قصة الأسد مع سفينة مولى رسول الله - ﷺ -

عن سفينة مولى رسول الله - ﷺ - قال : ركبت سفينة فى البحر فانكسرت ، فركبتُ لوحاً منها ، فأخرجنى إلى أجمة[١٩٥] فيها أسد ، إذ أقبل الأسد فلما رأيته قلت : ياأبا الحارث ! أنا سفينة مولى رسول الله - ﷺ - ، فأقْبَلَ نحوى حتى ضربنى بمنكبه ، ثم مشى معى حتى أقامنى على الطريق ، قال : ثم همهم ساعة وضربنى بِذَنَبِه ، فرأيتُ أنه يُوَدِّعُنِى .

وفى رواية عنه قال : فطأطأ الأسد رأسه وأقبل إلىّ يدفعنى بمنكبيه ، فأخرجنى من الأجمة ، ووقفنى على الطريق ثم همهم ، فظننت أنه يودعنى فكان هذا آخِر عهدى به .

وفى رواية أخرى : أن سفينة مولى رسول الله - ﷺ - أخطأ الجيش بأرض الروم - أو أُسِرَ فى أرض الروم - فانطلق هارباً يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال له : ياأبا الحارث ! إنى مولى رسول الله - ﷺ -، كان من أمرى كَيْت وكَيْت ، فأقبل الأسد يُبصبصه[١٩٦] حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوتاً أهوى إليه ثم أقبل يمشى إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد[١٩٧].

= أحمد رجال الصحيح ، وفى الخصائص الكبرى (٦٣/٢) عزاه السيوطى للبيهقى وأبى نعيم وأحمد وأبى يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط والدارقطنى وابن عساكر .، وفى البداية والنهاية (١٦٧/٦ - ١٦٨) قال ابن كثير : هذا الإسناد على شرط الصحيح ولم يخرجوه وهو حديث مشهور .

(١٩٥) الأجمة : الشجر الكثير المُلتف .

(١٩٦) أى يُحَرِّك ذَنَبَهُ تَقَرُّباً إليه .

(١٩٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٤٥/٦ - ٤٦) وابن كثير فى البداية والنهاية (١٦٨/٦) ، وأخرجه أبو عبد الله الحاكم فى المستدرك (٦٠٦/٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وفى الخصائص الكبرى (٦٥/٢) عزاه لابن سعد ولأبى يعلى والبزار وابن منده والحاكم والبيهقى .

الثعابين والحيات والعقارب

- الثعبان من العصا معجزة إلهية .
- الحية والفتى الأنصارى .
- مع العقرب .

ثعبان من العصا ، معجزة إلهية

﴿ وما تلك بيمينك ياموسى * قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى * قال ألقها ياموسى * فألقاها فإذا هى حية تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾[198]..

وقال : **﴿ فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ﴾**[199]..

لمَّا ذهب موسى عليهالسلام إلى الوادى المقدس طوى ، سأله الله تبارك وتعالى : **﴿ وما تلك بيمينك ياموسى ﴾** قال بعض المفسرين : إنما قال له ذلك على وجه التقرير ، أى : أما هذه التى فى يمينك عصاك التى تعرفها ؟! فسترى ما نصنع بها الآن ! .

فأجاب موسى عليه السلام بأنه يتوكأ – أى يعتمد – عليها فى حال المشى ، ويَهُزُّ بها الشجر ليتساقط ورقه فترعاه غنمه ، وله فيها منافع وحاجات أُخَر غير ذلك .

وقد تَكَلَّف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التى أُبهِمَت ، فقيل : كانت تضيء له بالليل !! وتحرس له الغنم إذا نام !!، ويغرسها فتصير شجرة تظله !، غير ذلك من خوارق العادات ...؛ لكن هذا من الأخبار الإسرائيلية .

﴿ قال أَلْقِهَا ياموسى ﴾ أى هذه العصا التى فى يدك ، فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيماً يتحرك حركة سريعة ، فإذا هى **﴿ تهتز كأنها جان ﴾**[200]، والجان يطلق على نوع من الحيات سريع الحركة صغير الحجم ، لكن عصا موسى كانت غاية فى الكِبَرِ وغاية فى سرعة الحركة ، **﴿ فلما رآها تهتز كأنها جان وَلَّى مدبراً ولم يُعَقِّب ﴾** ، فلما رآها موسى تضطرب وتتحرك مع عظم

---

(١٩٨) طه : ١٧ – ٢١ .

(١٩٩) الأعراف : ١٠٧ ، الشعراء : ٣٢ .

(٢٠٠) النمل : ١٠ ، القصص : ٣١

خلقتها وقوائمها واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتعلتها ، تنحدر فى فيها تتقعقع كأنها حادرة فى وادٍ ، عند ذلك وَلَّى موسى و لم يلتفت ؛ لأن طبع البشرية ينفر من ذلك(٢٠١).

ثم نودى ياموسى أن ارجع حيث كنت ، فرجع موسى وهو شديد الخوف ، فقال تعالى : ﴿ **خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى** ﴾(٢٠٢). أى سنعيدها إلى حالها التى تعرف قبل ذلك ، وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على نبوة موسى ، وفيه إظهار لقدرة القادر سبحانه الذى يقول للشىء كن فيكون ، وأنه الفعال لما يريد .

□ بداية المواجهة مع فرعون :

ولما حان وقت المواجهة بين موسى عليهالسلام وفرعون عليه لعائن الله نَاظَرَه موسى عليه السلام وألجمه بالحُجَّة وإظهار الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه ، فأخبره موسى بأنه رسول من الله تبارك وتعالى الذى هو خالق كل شىء وربه ومليكه .

﴿ **وقال موسى يافرعون إنى رسول رب العالمين** ﴾(٢٠٣). واستمر موسى صلوات الله عليه وتسليماته يجادله بالحجة والإقناع ، ويقص المولى تبارك وتعالى هذه المناظرة فى قوله سبحانه : ﴿ **قال فَمَن ربكما ياموسى * قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلْقَه ثم هدى * قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى * الذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى * كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النُّهَى * منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى * ولقد أريناه آياتنا كلها فَكَذَّب وأَبَى** ﴾(٢٠٤)..

وهكذا استمر – عليه السلام – يُبَيِّن له صُنع الله وقدرته ، ويقيم عليه

---

(٢٠١) تفسير ابن كثير (٣/٢٣٣ – ٢٣٤) .
(٢٠٢) طه : ٢١ .
(٢٠٣) الأعراف : ١٠٤ .
(٢٠٤) طه : ٤٩ – ٥٦ .

الحجج والآيات والدلالات ، لعلهْ يستجيب لربه ؛ لكن هيهات أن يستجيب هذا الكافر الذى طُبع على قلبه وأطاع شيطانه فأضَلَّه وأعماه وأصَمَّهُ عن طريق الله ..، ﴿ **قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم ورب آبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذى أُرسل إليكم لمجنون * قال رب المشرق والمغرب ومابينهما إن كنتم تعقلون * قال لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجْعَلَنَّك من المسجونين** ﴾[205]..

أقام موسى عليه السلام على فرعون الحجة بالبيان والعقل ، إلا أن فرعون عَدل إلى أن يقهر موسى بيده وبطشه وسلطانه ، فظن أنه ليس وراء هذا المقال مقام ، فَتَوَعَّدَ موسى بالسجن .

قال موسى : ﴿ **حقيق علىَّ أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فَأَرْسِل معى بنى إسرائيل * قال إن كنتَ جئت بآية فَأْتِ بها إن كنت من الصادقين** ﴾[206]..

﴿ **قال أَوَلَوْ جئتك بشيء مبين * قال فَأْتِ به إن كنتَ من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين** ﴾[207]..

طلب موسى منه أولاً أن يُطْلِق بنى إسرائيل مِن أَسْرِه وقَهْره ، ويدعهم وعبادة الله تبارك وتعالى رب فرعون وربهم ورب كل شيء ، فلم يُصَدِّق الملعون ، ولم يُطِعْ ، وطلب حُجَّة ظاهرة من موسى تُؤَيِّد نبوته !.

فألقى موسى عصاه ، فصارت حية كبيرة ، فوضعت لحيها[208] الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذعر منها ووثب ، وصاح : ياموسى خذها وأنا مؤمن بك ، وأَرْسِل معك بنى إسرائيل .. فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت[209].

﴿ **قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم**

---

(٢٠٥) الشعراء : ٢٣ – ٢٩ .
(٢٠٦) الأعراف : ١٠٥ – ١٠٦ . (٢٠٧) الشعراء : ٣٠ – ٣٢ . (٢٠٨) فَكَّهَا .
(٢٠٩) تفسير ابن جرير الطبرى (١٥/١٣ – ١٧) ، ابن كثير (٣٧٧/٢) .

بسحره فماذا تأمرون * قالوا أَرْجِهِ وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين * يأتوك بكل سَحَّار عليم ﴾[٢١٠].

بادر فرعون إلى التكذيب والعناد ، ورَوَّجَ أن موسى من السَّحَرة ، وأن ما أُظهر على يديه من قبل السحر لا مِن قبيل المعجزة ، واستشار فرعون الملأ والسادة من قومه ، فوافقوه على مقالته ، وتَشاوَروا فى أمره كيف يصنعون فى أمره ؟ وكيف تكون حيلتهم فى إطفاء نوره وإخماد كلمته وتَخَوَّفوا من أن يستميل الناس بسحره – فيما يعتقدون – فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم[٢١١] وإخراجه إياهم من أرضهم ، فأشاروا بأن يجمع من مدائن مملكته وأقاليم دولته كل ساحر عليم ؛ ليغلب السحرةُ موسى ، فتكون الغلبة لفرعون ، ويكون التأييد والنصرة له ، فأجابهم إلى ذلك ، وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم فى ذلك ؛ ليجتمع الناس فى صعيد واحد ، وتظهر آية الله وحججه وبراهينه على الناس فى النهار جهرةً[٢١٢].

□ المواجهة بين المعجزة والسِّحر ! :

وكان موعد المواجهة بين نبى الله موسى وسَحَرَة فرعون فى يوم الزينة ، وهو يوم عيدهم وتَفَرُّغهم من أعمالهم واجتماع جمعهم ، ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ، ومعجزات الأنبياء وبُطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ، ويكون ذلك فى ضحوة النهار ، ليكون أَظْهَر وأَجْلَى وأَبْيَنَ وأَوْضَح ، وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بَيِّن واضح ليس فيه خفاء ولا ترويج .

قال ابن عباس : وكان يوم الزينة يوم عاشوراء **﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يُحشَر الناسُ ضُحى ﴾** .

جاء السحرة فى اليوم المعلوم وفى المكان المتفق عليه ، كانوا من أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخييلا ، وكانوا جَمْعَاً غفيراً ، قيل : كانوا اثنى عشر ألفاً ، وقيل : خمسة عشر ألفاً ، وقيل : سبعة عشر ألفاً ، وقيل : تسعة عشر

---

(٢١٠) الشعراء : ٣٤ – ٣٧ .
(٢١١) انتصاره عليهم .
(٢١٢) تفسير ابن كثير (٣/٥٣٣ – ٥٣٤) .

ألفا ، وقيل : بضعة وثلاثين ألفاً ، وقيل : ثمانين ألفاً ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بِعِدَّتِهِم[٢١٣].

﴿ وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم لَمِن المُقَرَّبين * قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن المُلْقِين * قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم * وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فَغُلِبُوا هناك وانقلبوا صاغرين وأُلْقِىَ السحرةُ ساجدين * قالوا آمَنَّا برب العالمين * رب موسى وهارون * قال فرعون آمنتم به قبل أن آذَنَ لكم إن هذا لَمَكْرٌ مكرتموه فى المدينة لتُخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون * لأُقَطِّعَنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لَأُصَلِّبَنَّكُم أجمعين * قالوا إنا إلى ربنا منقلبون * وما تنقم منا إلّا أن آمَنَّا بآيات ربنا لما جاءتنا * ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾[٢١٤].

سأل السحرة موسى : **﴿ إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ﴾** فقال لهم موسى عليه السلام : ألقوا أنتم أولاً ، والحكمة فى ذلك أن يرى الناس صنيعهم ويَتَأَمَّلوه ، فإذا فرغوا من بهرجهم ومحالهم[٢١٥] جاءهم الحق الواضح الجلى بعد التطلب له والانتظار منهم لمجيئه فيكون أوقع فى النفوس ، والله أعلم .

ألقى كل ساحر حباله وعصيه ، فإذا حيّات كأمثال الجبال قد ملأت الوادى يملأ بعضها بعضا ، فأوحى الله إلى موسى أن يلقى عصاه ، فألقاها ، فجعلت لا تمر بشىء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا شىء من السماء ، ليس هذا بسحر ؛ فَخَرُّوا سُجَّدَاً وآمنوا بالله رب العالمين ، و لم ينفع فرعون تهديده لهم ووعيده ، فقتلهم - لعنه الله -، فكانوا فى أول النهار سَحَرة فَجَرَة ، فأمسوا شهداء بررة ، رضى الله عنهم .

---

(٢١٣) تفسير ابن كثير (٣/٢٥٠ - ٢٥١) .
(٢١٤) الأعراف : ١١٣ - ١٢٦ .
(٢١٥) باطلهم .

الحَيّة والفتى الأنصارى

عن أبى السائب مولى هشام بن زُهرة أنه دخل على أبى سعيد الخدرى فى بيته ، قال : فوجدته يُصَلِّى ، فجلستُ أنتظره حتى يقضى صلاته ، فسْمعتُ تحريكاً فى عراجين[216] فى ناحية البيت ، فالْتَفَتُّ فإذا حية ، فَوَثَبْتُ لأَقْتُلَهَا ، فأشار إلَىَّ أن اِجْلِس ، فجلستُ .

فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار فقال : أترى هذا البيت ؟!، فقلت : نعم ، قال : كان فيه فتى منا حديث عهد بعُرس[217]، قال : فخرجنا مع رسول الله – ﷺ – بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ، فاسْتَأْذَنَهُ يوما ، فقال له رسول الله – ﷺ – : « **خُذ عليك سلاحك ، فإنى أخشى عليك قريظة** ».. ؛ فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة ، فأهوى إليها الرُّمح ليطعنها به ، وأصابته غَيْرَة ، فقالت له : اكفف عليك رُمْحك ، وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أَخْرَجَنى ! ، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفِراش ، فأهوى إليها بالرمح فانْتَظَمَهَا به[218]، ثم خرج فركزه فى الدار ، فاضطربت عليه ، فما يُدْرَى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى ؟!.

قال : فجئنا إلى رسول الله – ﷺ – فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادْعُ الله يحيه لنا ، فقال – ﷺ – : « **استغفروا لصاحبكم** » ثم قال : « **إن بالمدينة**

---

(٢١٦) واحده عرجون ، وهو العود الأصفر الذى يحمل التمر .

(٢١٧) قد تزوَّج حديثاً .

(٢١٨) قطعها به .

جنًّا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذِنوه ثلاثة أيام[219]، فإن بدا[220] لكم بعد ذلك فاقتلوه ، فإنما هو شيطان »[221]..

□ تَعَوُّذ النبى – ﷺ – من الحَيَّة :

فى حديث ابن عمر أن النبى – ﷺ – كان يتعوذ من الحية والعقرب[222].

مــع العقــرب

□ العقرب تلدغ النبى – ﷺ – :

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : لدغت النبى – ﷺ – عقربٌ وهو فى الصلاة ، فقال : « **لعن الله العقرب ما تدع المصلى وغير المصلى ، اقتلوها فى الحل والحرم** »[223]..

---

(219) قال النووى : قال القاضى عياض : روى ابن حبيب عن النبى – ﷺ – أنه يقول : « أنشدكم بالعهد الذى أخذه عليكم سليمان بن داود أن لا تؤذونا ولا تظهرن لنا » ، وقال مالك : يكفى أن يقول : أُحَرِّج عليك بالله واليوم الآخر أن لا تبدو لنا ولا تؤذينا [شرح النووى على صحيح مسلم (230/14)] .

وعن عبد الرحمٰن بن أبى ليلى عن أبيه قال : قال رسول الله – ﷺ – « إذا ظهرت الحية فى المسكن فقولوا لها : إنا نسألك بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود ألّا تؤذينا .. فإن عادت فاقتلوها » [رواه أبو داود (5260) والترمذى (1485) وقال : حسن غريب ، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (ص 281) ، والبغوى فى شرح السنة (194/12)] .

(220) بَدَا : ظَهَر .

(221) رواه مسلم فى صحيحه [كتاب السلام (139)] ، ومالك فى الموطأ [كتاب الاستئذان (33)] ، والبغوى فى شرح السنة [(193/12 – 194) برقم (3264)] .

(222) سيلى تخريجه فى الهامش (228) .

(223) رواه ابن ماجه (1246) وإسناده ضعيف .

قلت : وصح هذا الحديث عن على بن أبى طالب عند الطبرانى ، وسيلى ذكره وتخريجه بالهامش رقم (233) .

وعن ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله - ﷺ - وهو عاصب اصبعه من لدغة عقرب[٢٢٤] (وسنذكر إن شاء الله بعد قليل كيف عالج النبى - ﷺ - نفسه عندما لدغته العقرب) .

□ الرُّخصة فى الرُّقْيَة من العقرب :

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « **رَخَّص النبى - ﷺ - فى الرقية من كل ذى حمة**[٢٢٥] »[٢٢٦]..

وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : لدغت رجلاً منا عقرب ونحن جلوس مع النبى - ﷺ -، فقال رجل : يارسول الله أَرْقِى ؟، قال - ﷺ - : « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل** »[٢٢٧]..

□ تَعَوُّذ النبى - ﷺ - من لدغة العقرب :

عن ابن عمر - رضى الله عنها - قال : كان رسول الله - ﷺ - إذا غزا أو سافر فأدركه الليل قال : « **ياأرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود ، وحية وعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ومن شر والد وما ولد** »[٢٢٨]..

□ دعاء للوقاية من لدغة العقارب :

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : لدغت عقرب رجلاً فلم ينم ليلته ، فقيل للنبى - ﷺ - : إن فلاناً لغدته عقرب فلم ينم ليلته ، فقال : « **أما إنه لو قال حين أمسى : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلقَ ؛ ماضره لدغ عقرب حتى يصبح** »[٢٢٩]..

---

(٢٢٤) المسند (٥/٢٧١) .

(٢٢٥) أى من ذوات السموم كالحية والعقرب .

(٢٢٦) رواه البخارى (٥٧٤١) .

(٢٢٧) رواه مسلم فى صحيحه كتاب السلام برقم (٦٠) ، وأحمد فى المسند (٣/٣٨٢) .

(٢٢٨) رواه أحمد (٢/١٣٢) ، (٣/١٢٤) ، وأبو داود (٢٦٠٣) .

(٢٢٩) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر برقم (٥٥) ، وابن ماجه (٣٥١٨) وهذا لفظه .

□ **كيف عالج النبى - ﷺ - نفسه حين لدغته العقرب ؟ :**

عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : لدغت النبىَّ - ﷺ - عقربٌ وهو يصلى ، فلما فرغ قال : « **لعن الله العقرب ، لا تدع مُصَلِّياً ولا غيره ، ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ**[*] : ﴿ **قل يٰأيها الكافرون** ﴾[230]. و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾[231]. و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾[232] »[233].

★ ★ ★

(*) المراد أنه - ﷺ - قرأ السور الثلاث بتمامها .

(٢٣٠) الكافرون : ١ . (٢٣١) الفلق : ١ . (٢٣٢) الناس : ١

(٢٣٣) رواه الطبرانى فى الصغير وإسناده حسن [مجمع الزوائد (١١١/٥)] .

منوعات أخرى من قصص الحيوان
فى عهد النبى - ﷺ -

- قصة الغزالة مع النبى - ﷺ -.
- شكوى البعير وبكاؤه وسجوده للنبى - ﷺ -.
- إنقياد الفحلين للنبى - ﷺ -.
- ناقة الرسول - ﷺ -.
- أَسْرُ ناقة النبى - ﷺ -.
- ذهبت الناقة بحلو اللقاء .
- شاة تدر لبناً للنبى - ﷺ -.

قصة الغزالة مع النبى - ﷺ -

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : مَرَّ رسول الله - ﷺ - على قوم قد اصطادوا ظَبية فَشَدُّوها على عمود فُسطاط[٢٣٤]، فقالت : يارسول الله ! إنى أُخِذْت ولى خَشْفان[٢٣٥]، فاسْتَأْذِن لى أن أُرْضِعْهُما وأعود إليهم ، فقال - ﷺ - : « **أين صاحب هذه ؟** » فقال القوم : نحن يارسول الله ، قال : « **خلّوا عنها حتى تأتى خشفيها ترضعهما وترجع إليكم** » ، فقالوا : ومَن لنا بذلك يارسول الله ؟ قال : « **أنا** » ، فأطلقوها ، فذهبت فأرضعت ، ثم رجعت إليهم فأوثقوها ، فَمَرّ بهم رسول الله - ﷺ - فقال : « **أين أصحاب هذه ؟** » فقالوا : هو ذا نحن يارسول الله ، فقال : « **خلّوا عنها** » ، فأطلقوها فذهبت[٢٣٦].

---

(٢٣٤) الفسطاط : الخيمة .

(٢٣٥) الخُشْف والخَشْف والخِشْف : ولد الظبى أول ما يولد ، أو أول مشية .

(٢٣٦) أخرجه أبو نعيم الأصفهانى فى دلائل النبوة (٣٢٠) ، وعنه ابن كثير فى البداية والنهاية (١٦٨/٦) ، وفى مجمع الزوائد (٢٩٤/٨) عزاه للطبرانى فى الأسط وقال : فى إسناده صالح المرى وهو ضعيف ، ونقله السيوطى فى الخصائص الكبرى (٦٠/٢ - ٦١) وعن أنس ..، وعند البيهقى فى الدلائل (٣٤/٦ - ٣٥) عن أبى سعيد وزين بن أرقم بنحوه ، وله طرق أخرى فى البداية والنهاية (١٦٨/٦ - ١٧٠) .

قصة البعير النّاد[237] وسجوده للنبى - ﷺ - وشكواه إليه - ﷺ - وانقياده له - ﷺ -

□ حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه :

عن أنس بن مالك قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه[238]، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا : إنه كان لنا جمل نسنى عليه ، وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله - ﷺ - لأصحابه : « **قوموا** » ، فقاموا ، فدخل الحائط[239]. والجمل فى ناحيته ، فمشى النبى - ﷺ - نحوه ، فقالت الأنصار : يانبى الله ! إنه قد صار مثل الكَلْب الكَلِب[240]، وإنّا نخاف عليك صولته[241]، فقال - ﷺ - : « **ليس علىّ منه بأس** » ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله - ﷺ - أقبل نحوه حتى خَرَّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله - ﷺ - بناصيته أذلّ ما كانت قط ، حتى أدخله فى العمل .

فقال له أصحابه : يارسول الله ! هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن أحق أن نسجد لك ، فقال : « **لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها مِن عِظَم حقه عليها ، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قُرحة تتفجر بالقيح والصديد ، ثم استقبلته فلحسته ما أدَّت حقه** »[242]..

(٢٣٧) ندَّ البعيرُ : شَرَدَ . (٢٣٨) يسقون عليه زرعهم . (٢٣٩) الحائط : البستان .
(٢٤٠) الكَلِب : مرض يعترى الكلاب فتعقر الناس ، فيُصابون بهذا الداء .
(٢٤١) عدوانه .
(٢٤٢) إسناده جيد ، أخرجه أحمد فى مسنده (١٥٨/٣) ، وفى مجمع الزوائد (٤/٩) عزاه لأحمد والبزار وقال : رجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخى أنس وهو ثقة ، وأخرجه ابن كثير فى البداية والنهاية (١٥٤/٦ - ١٥٥) ، وانظر دلائل النبوة للبيهقى (٢٩/٦) ، والخصائص الكبرى للسيوطى (٥٦/٢٠) .

□ حديث جابر بن عبد الله – رضى الله عنه – :

وعن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : أقبلنا مع رسول الله – ﷺ – من سفره حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار ، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شَدّ عليه ، قال : فذكروا ذلك للنبى – ﷺ – فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا مِشْفَرَه[٢٤٣] إلى الأرض حتى برك بين يديه ، فقال رسول الله – ﷺ – : **« هاتوا خِطَاماً »**[٢٤٤]. ، فخطمه ودفعه إلى صاحبه ، ثم ألتفت – ﷺ – إلى الناس فقال : **« إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنّى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس »**[٢٤٥]..

□ حديث عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – :

عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال : جاء قوم إلى رسول الله – ﷺ – فقالوا : يارسول الله ! إن لنا بعيراً قد نَدَّ فى الحائط ، فجاء إليه رسول الله – ﷺ – فقال : **« تعالوا »** ...، فجاء مطأطئاً رأسه حتى خَطَمَهُ وأعطاه أصحابه ، فقال له أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – : كأنه عَلِمَ أنك نبى !، فقال رسول الله – ﷺ – : **« مابين لابَتَيْها[٢٤٦] أحد إلا يعلم أنى نبى الله إلا كفرة الجن والإنس »**[٢٤٧]..

---

(٢٤٣) شَفَتُه .

(٢٤٤) الخطام : الزمام الذى يوضع فى أنف البعير لينقاد به .

(٢٤٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٣/٣١٠) ، وابن كثير فى البداية والنهاية (٦/١٥٥) ، وفى مجمع الزوائد (٩/٧) قال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله ثقات وفى بعضهم ضعف ، وأخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢٧٩) ، والدرامى (١٨) .

(٢٤٦) أى ما بين لابتى المدينة ، وهما حرتان عظيمتان تكتنفانها .

الحرة : أرض ذات حجارة سوداء .

(٢٤٧) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/٤) وقال : رواه الطبرانى ورجاله ثقات وفى بعضهم ضعف .. وأخرجه ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/١٥٥) ، وأبونعيم فى الدلائل (٣٢٥ – ٣٢٦) ، والبيهقى فى ا لدلائل (٦/٣٠) ، والسيوطى فى الخصائص الكبرى (٢/٥٦ – ٥٧) .

□ إنقياد الفحلين للنبى - ﷺ - :

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلاً كان له فحلان فاغْتَلَمَا[٢٤٨]، فأدخلهما حائطاً فسَدَّ عليهما الباب ، ثم جاء إلى رسول الله - ﷺ - فأراد أن يدعو له ، والنبى قاعد معه نفر من الأنصار ، فقال : يانبى الله ! إنى جئت فى حاجة ، فإن فحلين لى اغتلما ، وإنى أدخلتهما حائطاً وسددت عليهما الباب ، فأحب أن تدعو لى أن يُسَخِّرهما الله لى .

فقال النبى - ﷺ - لأصحابه : « **قوموا معنا** » ، فذهب حتى أتى الباب فقال : « **افتح** » ، ففتح الباب فإذا أحد الفحلين قريبا من الباب ، فلما رأى رسول الله - ﷺ - سجد له ، فقال رسول الله - ﷺ - : « **ائْتِ بشىء أَشُدُّ رأسه وأُمَكِّنك منه** » ... ، فجاء بخطام فشد رأسه وأمكنه منه ، ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر ، فلما رآه وقع له ساجداً ، فقال للرجل : « **ائتنى بشىء أشد رأسه** » ، فشد رأسه وأمكنه منه ، فقال : « **اذهب فإنهما لا يعصيانك** » ..، فلما رأى أصحاب رسول الله - ﷺ - ذلك قالوا : يارسول الله ! هذان فحلان سَجَدَا لك !، أفلا نسجد لك ؟ ، قال : « **لا آمُر أحداً يسجد لأحد ، ولو أمرتُ أحداً يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها** »[٢٤٩]..

□ جمل يشكو للنبى ويبكى !! :

وعن عبد الله بن جعفر قال : أردفنى رسول الله - ﷺ - ذات يوم خلفه ، فَأَسَرَّ إلىّ حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً ، كان رسول الله - ﷺ -

(٢٤٨) أى اشتدت شهوتهما .

(٢٤٩) ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (١٥٦/٦) وعزاه للطبرانى وقال : هذا إسناد غريب ومتن غريب .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/٤ - ٥) وعزاه للطبرانى وقال : فيه أبو عزة الدباغ وثقه ابن حبان واسمه الحكم بن طهمان وبقية رجاله ثقات .

أحبَّ ما استتر به فى حاجته هدف[٢٥٠] أو حائش نخل[٢٥١]، فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار ، فإذا جمل قد أتاه فَجَرْجَرَ[٢٥٢] وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله – ﷺ – سراته[٢٥٣] وذِفراه[٢٥٤]، فَسَكَن .. فقال – ﷺ – : « **مَن صاحب الجمل ؟** » ، فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يارسول الله ، فقال – ﷺ – : « **أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى مَلَّكَكَهَا الله لك ؟، إنه شكا إلَىّ أنك تُجيعه وتدئبه[٢٥٥]** »[٢٥٦]..

□ الجمل يخبر النبى – ﷺ – أن صاحبه يريد ذبحه :

وعن يعلى بن سيابة أن النبى – ﷺ – جاءه بعير فضرب جرانه[٢٥٧] إلى الأرض ثم جرجر حتى ابْتَلّ ماحوله ، فقال رسول الله – ﷺ – : « **أتدرون ما يقول البعير ؟، إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره** » ..، فبعث إليه رسول الله – ﷺ – فقال : « **أواهبه أنت لى ؟** » ، فقال : يارسول الله : مالى مال أحب إلىّ منه ، فقال – ﷺ – : « **استوص به معروفاً** » ، فقال : لا جَرم لا أكرم مالاً لى كرامته يارسول الله[٢٥٨].

□ جمل يشكو كثرة العمل وقلة العلف :

وفى رواية أخرى للإمام أحمد عن يعلى بن مرة قال : بينا نحن نسير مع النبى – ﷺ – إذ مررنا ببعير يُسْنَى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه ، فوقف عليه النبى – ﷺ – فقال : « **أين صاحب هذا البعير ؟** »..، فجاء ، فقال : « **بِعْنِيه** » .. قال : لا ، بل أَهَبُه لك ، فقال : « **لا ، بعنيه** » ، قال : لا بل نَهَبُه لك ، إنه لأهل بيت ماهم معيشة غيره قال : « **أما إذا**

---

(٢٥٠) الهدف : كل شىء مرتفع . **(٢٥١) نخل ملتف .**
(٢٥٢) الجرجرة : صوت يَردده البعير فى حنجرته .
(٢٥٣) السراةُ : الظَّهرُ . **(٢٥٤) خلف أُذُنه .** **(٢٥٥) تُتعبه .**
(٢٥٦) أخرجه أحمد فى مسنده (١/٢٠٤) ، وأبو داود فى سننه برقم (٢٥٤٩) ، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/١٥٧) .
(٢٥٧) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .
(٢٥٨) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٤/١٧٢) ، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/١٥٨) ، وفى مجمع الزوائد (٩/٦ – ٧) قال الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى وإسناده حسن .

ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرةالعمل وقلة العلف ، فأحسنوا إليه » وذكر الحديث بتمامه .

وفى رواية أخرى : فقال - ﷺ - : « **هذا البعير يقول : نتجت عندهم فاستعملونى حتى إذا كبرت عندهم أرادوا أن ينحرونى** »[٢٥٩]..

☐ ناقة الرسول - ﷺ - :

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : كان للنبى - ﷺ - ناقة تسمى العضباء لا تُسْبَق ، فجاء أعرابى على قَعُود[٢٦٠] فسبقها ، فَشَقَّ ذلك على المسلمين حتى عرفه[٢٦١] - ﷺ - فقال : « **حَقٌّ على الله أن لا يرتفع شىء من الدنيا إلا وضعه** »[٢٦٢]..

☐ أَسْرُ ناقة النبى - ﷺ - :

عن عمران بن حصين - رضى الله عنه - قال : كانت ثقيف حلفاء لبنى عقيل ، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله - ﷺ -، وأسر أصحاب رسول الله - ﷺ - رجلاً من بنى عقيل ، وأصابوا معه العضباء[٢٦٣]، فأتى عليه رسول الله - ﷺ - وهو فى الوثاق ، قال : يامحمد .. ، فأتاه - ﷺ - فقال : « **ما شأنك ؟** » ، فقال : بِمَ أخذتنى وبِمَ

---

(٢٥٩) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١٧٣/٤) ، وابن كثير فى البداية والنهاية (١٥٨/٦ - ١٦٠) من عدة طرق ثم قال : وهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة فى الجملة .

وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٢١/٦ - ٢٢) ، وفى مجمع الزوائد (٦/٩) قال : رواه أحمد والطبرانى بنحوه ، وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح .

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٦١٧/٢ - ٦١٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢٦٠) القَعُودُ : ما استحق الركوب من الإبل .

(٢٦١) أى عرف أثر المشقة فى نفوس المسلمين ووجوههم ..، ويؤيده رواية للنسائى وفيها : « فلما رأى - ﷺ - مافى وجوههم وقالوا سُبقت العضباء » الحديث .

(٢٦٢) رواه البخارى (٢٨٧٢) ، وأحمد (١٠٣/٣ ، ٢٥٣) ، وأبو داود (٤٨٠٢) ، والنسائى (٢٢٧/٦) ، ابن سعد (٤٩٣/١) ، وابن حبان (٧٠١) . (٢٦٣) سبق الكلام عليها .

أخذت سابقة الحاج[٢٦٤]؟ فقال – إعظاماً لذلك – : « **أَخذْتُك بجريرة حلفائك ثقيف** » ، ثم انصرف – ﷺ – عنه ، فناداه فقال : يامحمد يامحمد ، وكان رسول الله – ﷺ – رحيماً رقيقاً ، فرجع إليه فقال : « **ما شأنك ؟** » قال : إنى مسلم ، فقال – ﷺ – : « **لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح** »[٢٦٥]. ثم انصرف فناداه: يامحمد يامحمد ، فأتاه فقال : « **ما شأنك** » ، قال : إنى جائع فَأَطْعِمنى وظمآن فاسْقِنى ، قال : « **هذه حاجتك ، فَفُدى بالرَّجُلَيْن**[٢٦٦].

قال : وأسرت امرأة من الأنصار[٢٦٧] وأصيبت العضباء ، فكانت المرأة فى الوثاق ، وكان القوم يريحون نَعَمَهُم[٢٦٨] بين يدى بيوتهم ، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا[٢٦٩] فتتركه ، حتى تنتهى إلى العضباء فلم تَرْغُ وناقة مُنَوَّقة[٢٧٠] فقعد فى عجزها[٢٧١] ثم زجرتها ، فانطلقت ؛ ونذروا بها[٢٧٢]، فطلبوها فأعجزتهم .

قال : ونَذَرَت لله إن نَجَّاها الله عليها لَتَنْحَرَنَّهَا ، فلما قَدِمَت المدينة رآها الناس فقالوا : العضباءُ ناقة رسول الله – ﷺ –!!، فقالت إنها نذرت إن نَجَّاها الله عليها لَتَنْحَرَنَّهَا ، فأتوا رسول الله – ﷺ – فذكروا ذلك له ، فقال : « **سبحانك الله ! بئسما جَزَتْهَا ، نَذَرَت لله إن نَجَّاها الله عليها**

---

(٢٦٤) يعنى العضباء .
(٢٦٥) أى : لو قُلت كلمة الإسلام قبل الأسر حين كنت مالك أمرك أفلحت كل الفلاح ، لأنه لا يجوز أسرك لو أسلمت قبل الأسر ، فكنت فُزت بالإسلام وبالسلامة من الأسر ومن اغتنام مالك ، وأما إذا أسلمت بعد الأسر فيسقط الخيار فى قتلك ، ويبقى الخيار بين الاسترقاق والمن والفداء [شرح النووى (١١/١٠٠)] .
(٢٦٦) فى رواية أبى داود : ثم فُدى برجلين فحبس رسول الله – ﷺ – العضباء لرحله .
(٢٦٧) أى : ثم أغار المشركون على المدينة فى مرة أخرى فأسروا امرأة من المسلمين وأخذوا العضباء ، [وهذا واضح من رواية أبى داود] .
(٢٦٨) أى ماشيتهم . (٢٦٩) الرُّغاء : صوت البعير .
(٢٧٠) أى مُذَلَّلة .. وفى رواية أخرى : «فأتت على ناقة رسول الله – ﷺ – ذلول » .
(٢٧١) أى ركبت الناقة . (٢٧٢) أى عَلِمَ القوم بها ، وأحسوا بهروبها .

لَتَنْحَرَنَّهَا ، لا وفاء لنذر فى معصية ولا فيما لا يملك العبد »[٢٧٣].

□ ذهبت الناقة بحلو اللقاء :

عن عمران بن حصين – رضى الله عنه – قال : دخلت على النبى – ﷺ – وعَقَلْتُ ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم ، فقال – ﷺ – : « **اقبلوا البشرى يابنى تميم** »[٢٧٤]. ، قالوا : قد بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا (مرتين) .. ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « **اقبلوا البشرى ياأهل اليمن أنْ لم يقبلها بنو تميم** » ...، قالوا : قد قبلنا يارسول الله : قالوا : جئنا نسألك عن هذا الأمر ، قال : « **كان الله ولم يكن شىء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شىء ، وخلق السماوات والأرض** » .

قال عمران : فنادى منادٍ : ذهبت ناقتك ياابن الحصين ..؛ فانْطَلَقْتُ فإذا هى يقطع دونها السَّرَابُ[٢٧٥]، فوالله لوددت أنى كنت تركتها[٢٧٦].

□ شاة تُدِرُّ لبناً للنبى – ﷺ – :

وعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : كنتُ أرعى غنماً لعقبة بن أبى معيط ، فَمَرَّ بى رسول الله – ﷺ – وأبو بكر ، فقال : « **ياغلام ! هل من لبن ؟** » ، قال : فقلت : نعم ، ولكنى مُؤْتَمَن ، قال : « **فهل من شاة لم يَنْزُ عليها الفحل ؟** » ...، فأتيته بشاة ، فمسح ضرعها ، فنزل لبن فحلبه فى إناء فشرب وسقى أبابكر ، ثم قال للضرع : « **اقْلِص** »[٢٧٧]؛ فَقَلَصَ .. قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يارسول الله عَلِّمنى من هذا القول ، قال : فمسح رأسى وقال : « **ياغلام يرحمك الله ، فإنك عليم مُعَلَّم** » .

---

(٢٧٣) رواه مسلم [فى كتاب النذور من صحيحه (٨)] ، وأبو داود (٣٣١٦) ، والدارمى (٢٥٠٥) ، وأحمد (٤/٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤) .

(٢٧٤) أى اقبلوا منى ما يقتضى أن تبشروا إذا أخذتم به بالجنة ، كالفقه فى الدين والعمل به .

(٢٧٥) أى يحول السَّراب بينى وبين رؤيتها .

(٢٧٦) رواه البخارى (٣١٩١) ، وأحمد فى مسنده (٤/٤٣١ – ٤٣٢) ، وأخرج الترمذى بعضه (٣٩٥١) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢٧٧) أى انْكَمِش وليرتفع اللبن .

ورواه البيهقى عن ابن مسعود وقال فيه : فأتيته بعناق[٢٧٨] جذعة فاعتقلها ، ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو ، وأتاه أبو بكر بجفنة فحلب فيها ، وسقى أبابكر ثم شرب ، ثم قال للضرع : « **اقْلِص** » ، **فَقَلَصَ** ، فقلت : يارسول الله علمنى من هذا القول ، فمسح رأسى وقال : « **إنك غلام مُعَلَّم** » ، فأخذت عنه سبعين سورة ما نازعنيها بشر[٢٧٩].

★ ★ ★

---

(٢٧٨) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

(٢٧٩) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١ ٣٧٩) والبيهقى فى دلائل النبوة (٢ ١٧١ - ١٧٢) ، والفسوى فى المعرفة والتاريخ (٢ ٥٣٧) . وابن كثير فى البداية والنهاية (٦ ١١٨) .

أهـم المـراجـع

- القرآن الكريم..
- تفسير ابن كثير .
- تفسير ابن جرير .
- البداية والنهاية لابن كثير .
- دلائل النبوة للبيهقى .
- كتب الصحاح والمسانيد والسنن .
- المستدرك للحاكم .
- مجمع الزوائد للهيثمى .

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٣/٧٣٢٢

الترقيم الدولى ٤/ - ٢٦ - ٥٣٨٧ - ٩٧٧